# ثوابت الدين

## بين الدعاوى والبراهين

### -قضية فلسطين نموذجًا-

عمر ماجد السنوي

إصدارات روى
نروي لنرتوي

# ثوابت الدين

## بين الدعاوى والبراهين

**إصدارات**

نروي لنرتوي

www.rawamag.com

جميع الحقوق محفوظة لشبكة روى

(١٤٤٦هـ/ ٢٠٢٥م)

# ثوابت الدين

## بين الدعاوى والبراهين

### -قضية فلسطين نموذجًا-

عمر ماجد السنوي

قَالَ اللهُ تَعَالَى:

{ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ * هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ}

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ لله المَولى النَّصير، والصَّلاةُ والسَّلامُ على رسولهِ البشير النَّذير، وعلى آله السَّالكين سبيلَ جِهادهِ الكبير. أمّا بَعد:

فقد كتبَ أحدُ المتطفّلين على الفقه والسياسة منشورًا تحت عنوانٍ عريض، نَصُّه: (("الحركات الإسلامية" بين "الثوابت الشرعية" و"الأنانية السياسية"))! وإنّ مَن ينظر إلى عنوانه هذا يحسب نفسَه أمام دراسةٍ علميةٍ تُشخِّص وتَصِف وتُوازِن وتُبرهِن وتحلِّل وتستنتِج، لكنْ سرعان ما يتفاجأ القارئ بكلامٍ إنشائيٍّ تحت هذا العنوان، قليلِ الكلمات، كثيرِ الدَّعاوى، خِلْوٍ من البيِّنات.

وفي هذه الدراسة -الّتي انقسمت إلى مبحثَين، تحت كلٍّ منهما ثلاثة فصول- خصّصنا **المبحث الأول** منها للكشف عن تلك الدعاوى العارية عن البراهين، وإثبات أنّ البراهين جاءت بعكس الدعاوى، ناقضة لها، وأنّها ألْصَق بِالمتَّهِم من المتَّهَم!

**أمّا المبحث الثاني** فعرَّجنا فيه على أمور متّصلة بتلك الدعاوى، ردًّا على شبهات المخذِّلين، وهي: (الموقف الشرعي من التحالفات السياسية) و(الموقف الشرعي من قضية فلسطين بعامّة) و(حُكم الجهاد في فلسطين).

وجعلتُ طريقتي في هذه الدراسة طريقة سردٍ مسترسِلٍ مترابِطٍ مكثَّفٍ، فجنَّبْتُها ما يَحول دون ذلك، كالتعليق والتخريج في الحواشي، إلا بإشارةٍ لطيفةٍ في المتن عند إرادة النقل والاقتباس، وأما مَوضِع تفصيل المَصادر والمَراجع فجعلتُها في آخرها قبل الفهرس لمن أراد الاستزادةَ والتَّوثُّق.

وقد عَجِبَ بعضُ الأصحاب من اهتمامي بالردّ على هذه الفئة المخذِّلة، لأنّهم لا يتمتّعون بكبير حضور ولا عظيم جمهور، وقدْ صدَق، ولكنّ الشبهةَ لا بدّ أن تُزال، فقدْ تَعْلَق في قلوب بعض الناس. وكذلك الدعاوى الكاذبة لا بدّ أن تُفضَح، لأنّها تؤذي أهل الحقّ في خضمّ معركتهم مع الباطل. كما أنّ بعض الناس يرى أنّ الخلافَ مع هذه الفئة المخذِّلة خلافٌ سائغ، فكان لا بدّ من تعرية باطلهم وردّ تخذيلهم، حتى لا يُحسَب على الخلاف المعتبَر.

**أما الفئة المقاتِلة في فلسطين، فالخِلافُ العلميُّ معها مُتاحٌ مَفتوح، وتَخطئتُها واردةٌ سائغة، في سياساتِها أو رؤاها أو اختياراتِها، ولكنْ بالطريقة الشرعية الحكيمة** الّتي أشارت إليها هذه الدراسة في مَواضع عِدّة.

واللّهَ أسألُ التّوفيقَ والسَّداد.

# المبحث الأول
# (الدعاوى ونقضها)

## الفصل الأول (سياق النقد):

قبل الشروع في ذِكر الدعاوى ونقضها، **لا بدّ من بيان سياق النقد الذي جاءت فيه هذه الدعاوى**، فقد جاء كلام المدَّعي ونقده بعد إذاعة الخِطاب الذي ألقاه أبو عبيدة الناطق العسكري لكتائب القسّام، وهي الجناح العسكري لـ(حركة المقاومة الإسلامية) التي عُرِفَت اختصارًا بِاسم (حماس)، التي تأسست في ثمانينات القرن الماضي على يد الشيخ أحمد ياسين وأصحابه، وبتأثير فكري ومنهجي وعقدي من الدكتور عمر بن سليمان الأشقر، وهي الحركة التي تولّت لاحقًا زمام الأمر لِمَا عُرف بالسلطة الفلسطينية بعد فوزها بالأغلبية في الانتخابات التشريعية سنة (٢٠٠٦م)، ثم نازعتْها حركةُ التحرير الوطني الفلسطيني المعروفة اختصارًا بِاسم (فتح)؛ فنتج عن ذلك تولّي حركة (فتح) زمام الأمور في الضفة الغربية من فلسطين المحتلة، وتولّي حركة (حماس) زمام الأمور في قطاع غزة من فلسطين المحتلّة حتى الآن.

جاء خِطابُ أبي عبيدة بعد عامٍ كامل من انطلاق معركة (طوفان الأقصى)، ففي خطابه هذا يسرد إنجازات المقاومة خلال هذا العام، وما

حقّقوه من إثخان في العدوّ في عدّة جوانب، كما كشف في خطابه هذا عن ضراوة العدوّ الصهيوني وإجرامه ودمويّته وخروجه عن كلّ القوانين الحربية -الدولية والعرفية-، وعن الدعم غير المحدود للعدوّ مِن قِبل رُعاته من دول الغرب وعلى رأسها أمريكا، وعن تعاون بعض الحكومات العربية والإسلامية مع العدوّ وخدمة أهدافه، وعن سكوت أولي الأمر في البلدان الإسلامية وخذلانهم لأهلهم وإخوانهم ومقدّساتهم. وفي هذا الخطاب نفسه باركَ أبو عبيدة جهودَ كل المساندين لهذه المعركة، لا سيّما المشاركين بالقتال المباشر مع العدو الصهيوني، في جبهات لبنان واليمن والعراق، وأثنى على مَن مات جرّاء اغتيالات العدوّ الصهيوني واصفًا إيّاهم بالشهداء.

ليس خِطابُ أبي عبيدة فحسْب، بل إنّ نقدَ المدّعي كان جُلّه مُنْصبًّا على ما صرّح به رئيسُ المكتب السياسي لحركة حماس في الخارج: خالد مشعل، في كلمته التي شارك بها في المؤتمر السابع لمنتدى كوالالمبور للفكر والحضارة، بمناسبة مرور عام على معركة طوفان الأقصى، وهي الكلمة التي كشفَ فيها عن جوانب انتصار المقاومة في هذه المعركة، وكيف أنّها أعادت القضية الفلسطينية إلى مكانتها الحقيقية في نفوس المسلمين، وكشفت عن قدرتها على صناعة القوة والتفوّق في معركة

العقول عسكريًّا وأمنيًّا.

ففي ظلّ هذا السياق لِهَذَين الخطابَين -بعد مرور عام على انطلاق معركة طوفان الأقصى التي كانت في السابع من أكتوبر سنة (٢٠٢٣م)- جاء هذا النقد اللاذع لهذه المقاومة من هذا المدّعي، كائلًا لها عددًا من الاتهامات والدعاوى!

في حين لا يجد مَن يُتابِع كتابات هذا المدّعي ودروسَه كلمةً في نصرة المقاومة أو الدعاء لها أو الثناء على ما تقوم به بالنيابة عن الأمّة في محاربة العدوّ المحتلّ الغاشِم!

## الفصل الثاني (بين الاتهامات والواجبات):

تحت عنوان: (("الحركات الإسلامية" بين "الثوابت الشرعية" و"الأنانية السياسية")) يقول المدّعي: (([هذا] موضوعٌ يستحق الوقوف عنده في ضوء المَواقف المُخزية لبعض زعماء ودعاة الحركات الإسلامية في تمييعهم وتهوينهم جرائم إيران وأذنابها ضد المسلمين، واختزالهم قضايا المسلمين ومصائبهم، وصَهرها في القضية التي يتبنّونها فقط؛ فكل ما يجري على المسلمين من ويلات -بسببها- يمكن وصفه عندهم(!) بأنه "خسائر تكتيكية"! وكل ما يصدر من جرائم وموبقات حليفتهم إيران يُختزَل باعتباره "إشكالاً"!! بل يمكن أن يَرتقي عدوُّ اللهِ ورسولِهِ والمؤمنين إلى مَصافّ الشهداء لِمُجرّد كونه ظاهرة صوتية تدعَم قضيَّتَهم، ولو فعَلَ بالمسلمين ما فعل!! إنّها "الأنانية السياسية" الّتي أثمرَتْها ثقافتُهم "الحزبية")).

هذا كلّ ما في جعبة المدّعي تحت عنوانه العريض!

وقد اشتمل هذا النص على دعاوى كبيرة، واتهامات خطيرة؛ **فعنوانه وحده يحمل اتّهامَين عظيمَين، هُما:**

١. أنّ الحركات الإسلامية (وهو يقصد هنا: المقاومة الإسلامية في فلسطين) تنازلَتْ عن الثوابت الشرعية، أو ضيّعَتْها.

٢. أنّ الأنانية السياسية كانت دافعَهم في معركتهم ضدّ الاحتلال.

**أمّا ما تحت العنوان** -من إنشاءٍ ضعيفٍ لغةً وتركيبًا-، فإنّنا نجدُه يحمل **اتّهامات أخرى لا تقلّ خطرًا عن الاتهامَين السابقَين**:

٣. أنّ قادة هذه الحركات كانت مواقفهم مخزية تجاه قضايا المسلمين ومصائبهم، باختزالها وصهرها في القضية الفلسطينية فحسب.

٤. أنّ كلّ ما تُصاب به الأمة الإسلامية من ويلات -بسبب هذه المقاومة- هو عندَها مجرّد خسائر تكتيكية!

٥. أنّ الثقافة الحزبية للمقاومة هي الّتي أنتجت هذه المواقف المخزية تجاه قضايا الأمة، وأنتجت هذه الأنانية السياسية!

**فإزاء كل هذه الاتهامات والدعاوى كان من المتوقّع أن يجد القارئُ في كلام المدّعي بيانًا ومناقشة؛ لأنّ الواجب عليه:**

**أوّلًا**: أنْ يكون قد أتى **بالأدلة والبراهين** على اتهاماته ودعاواه -وهو المنادي بالثوابت الشرعية-، وإلّا كان هو أوّل المخالفين لهذه الثوابت. يقول المولى عز وجل: {قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}. وقال رسول الله عليه الصلاة والسلام: "البيِّنة على المدَّعي"، رواه الترمذي بسندٍ صحيح.

**ثانيًا**: أنْ يكون متخلّقًا **بالعدل والإنصاف**، حتّى لو كان المردود عليه عدوًّا شانئًا أو مخالِفًا معاندًا. يقول المولى عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ}. ويقول سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}.

**ثالثًا**: أنْ يتحلّى بالأمانة العِلميّة، **فلا يتلاعَب بالنصوص -بالبتر أو التأويل أو تغيير السياق-**، ولا يَصِف الأمور على غير ما هيَ عليه. يقول المولى عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}.

وهذه الواجبات الثلاثة مردُّها إلى واجبٍ أساس، **هو واجب الصِّدق**، فمَن فقدَهُ جارَ وغشَّ وخانَ وافترى...

وقد وَرَد الصدقُ في القرآن الكريم أكثر من خمسين ومئة موضِع، ووَرَد الكذبُ في القرآن الكريم في أكثر من خمسين ومئتَي موضِع. فنحن -إذن- نتكلّم عن ثابتٍ من أعظم الثوابت الشرعية الّتي قد أخلَّ بها هذا المدّعي -كما سنرى في هذا البحث-.

**رابعًا**: يجب على المدّعي أنْ ينصِّص على ماهيّة الثوابت الشرعية التي يزعم أنّ الحركات الإسلامية قد خالفَتْها، لنستطيع فحصها في ميزان العلم، وننظر إن كانت هي من الثوابت حقًا أم أنّها من المسائل التي يجوز أن تتغيّر بحسب الظروف؟ أو أنّها قد تكون من الثوابت حقًا لكنّ ثَمَّ طارئًا ضروريًا يُلجئهم إلى بعض التنازلات بناءً على القاعدة الأصولية الكبيرة في الموازنة بين المصالح والمفاسد (الشرعية)، وفي مثل ذلك يقول ابن تيميّة -كما في *مجموع* فتاواه: (٢٨/٢٨٤)-: ((ليس من العقل أن يُعلَم الخيرُ مِن الشرِّ فقط، بل **يجب أن يُعلَم خيرُ الخيرين وشرُّ الشرّين،** ويُعلَم أنّ الشريعة مبناها على تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، وإلّا **فمَن لمْ يوازن ما في الفعل والترك من المصلحة والمفسدة الشرعية فقد يدع الواجبات ويفعل المحرمات**))، ويقول ابن تيمية -كما في *مجموع* فتاواه أيضًا (١٨/٤٢)-: ((جاءت الشريعة عند تعارُض المصالح والمفاسد بتحصيل أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما، وباحتمال أدنى المفسدتين لدفع أعلاهما؛ فمتى لم يندفع الفساد الكبير إلا باحتمال المفسدة القليلة كان ذلك هو **الواجب شرعًا**)).

**خامسًا**: يجب على المدّعي -هو والفئة الّتي يَنتمي إليها ويُصفِّق لهُ أتباعُها- أنْ يَكونوا في مَوقعٍ يَسمح لهم بمحاسبةِ الآخَرين ونقدِهم،

فَيَكونوا أهل نَزاهةٍ وسَلامةٍ مِن الوقوع في هذه المآخِذ الّتي سطّرها هذا الكاتب المدّعي. وإلّا كان -هو وحزبه- ممن ينطبق عليهم المثَل: (رمتني بدائها وانسلّت).

والحقيقة الّتي نواجهها ها هنا في كلام هذا المدّعي أنّه لم يأتِ بأيٍّ واجبٍ من هذه الواجبات الخمسة، بل زاد عليها ارتكابَ موبقات أخرى!! كما سيظهر جليًّا في هذا الردّ.

## الفصل الثالث (نقض الدعاوى):

### المطلب الأول (نقض الاتهام الأول):

**اتّهمَ المدّعي القائمين على المقاوَمة بأنهم تنازلوا عن الثوابت وضيّعوها**، ولم يبيّن ما هذه الثوابت؟ ولكن يبدو من سياق كلامه: نقمته عليهم ثناءَهم على جبهة لبنان واليمن والعراق، ومعلوم أنّ أفرادها من أصحاب الطائفة الشيعية الإمامية.

ومعلوم لدى هذا المدّعي ولدى الجميع، أن الثناءات المتبادلة بين الأطراف المختلفة في المذاهب أو العقائد أو الأديان، لا يلزم منها -بحال من الأحوال- الثناء على مذهب الطرف الآخر ومعتقداته، فضلًا عن أن يلزم من ذلك الرضا بمعتقداته واعتناق مذهبه، لا سيما في مجال التحالفات السياسية والعسكرية. بل ها نحن في حياتنا العادية في التعايش مع سائر فئات المجتمع في الحي الواحد أو في وظائفنا أو في مدارسنا وجامعاتنا وأسواقنا، نتعامل مع سائر أطياف المجتمع وطوائفه، ونكوّن العلاقات والصداقات والشراكات ونتعاون في بعض المصالح العامة أو الخاصة، وتنشأ عن ذلك مودة وثناء ونصرة، فكل هذه أمور بديهية لا يناقشها إلا أهل الغلو والجمود الفكري، الذين فسدَت فِطَرُهم وتشبّعوا بالطائفية والانعزالية.

ولكي لا يكون كلامي من باب إحسان الظن بالمقاومة فحسب، بل هو واقع حالهم ولسان مقالهم، فها هو خالد مشعل يقول: ((نحن أصحاب قضية، عندما نأخذ دعمًا من أي دولة... مسلمة أو غير مسلمة... لا يعني أننا متوافقون معهم... هو يدعمني وأنا أقاتل الكيان الصهيوني، فمدحي له هو مدح لدعمه لي في معركتي مع الاحتلال الصهيوني، وهذا المدح لا ينسحب على ما يُفعَل عندك في العراق أو أي بلد آخَر...، لا نتدخل في سياسات الآخَرين، ولسنا جزءًا من أجندة أي دولة)).

أما لسان حال المقاومة فهو ظاهر في ساحات جهادهم وفي أحوال جنودهم، وهو ظاهرٌ في إعلامهم العسكري الذي طالما ركّزوا فيه على إظهار عقائدهم الصريحة، بإبراز بعض أسماء علماء السلف وبعض كتب عقائد السلف أثناء تصوير العمليات وأثناء تسجيل الخطابات، فضلًا عن المناهج الدراسية التي يدرسها أبناء الحركة وجنودها، هي مناهج على وفق منهج السلف الصالح في العقيدة والأحكام.

مِن أبرز الأمثلة التي تؤكّد ما ذكرناه أنّ **الجامعة الإسلامية بغزّة** تمثّل المعقل الرئيس لحركة حماس، وهي القائمة على إدارتها، وكان الشيخ أحمد ياسين وإسماعيل أبو شنب وغيرهما ضمن أعضاء مجلس أمناء الجامعة، بل خرّجَت الجامعة عددًا كبيرًا من قادة الحركة، كإسماعيل

هنية ويحيى السنوار ومحمد الضيف وغيرهم كثير، وهي مستهدفة من الاحتلال وأعوانه منذ تأسيسها سنة (١٩٧٨م) حتى الآن. هذه الجامعة مثالٌ حيّ على الْتِزام الفكر الوسطي، وعلى جهودها الكبيرة في نصرة عقيدة السلف الصالح الّتي تتبنّاها الحركة.

وفي حوار أجرته شبكة الألوكة السعودية سنة (٢٠١٠م)، مع أحد قياديي الحركة وهو الأستاذ الدكتور صالح حسين الرقب -عميد كلية أصول الدين بالجامعة، ثم عميد عمادة الدراسات العليا، ووكيل وزارة الأوقاف في حكومة غزة-، سُئل: ((ما دور الجامعة الإسلامية في غزة في نشر العلم الشرعي؟ وهل لها تأثير في نشر عقيدة السَّلَف الصالح على طلّابِها؟)). فأجاب: ((الفضل في نشر العقيدة السَّلفية في قطاع غزة **يعود للجامعة الإسلامية**؛ حيث يَدْرُس جميع الطلبة مقرَّر العقيدة الإسلامية كمتطلَّب جامعة، والمقرَّر تم تأليفه وَفْق مذهب أهل السنة والجماعة من الأساتذة الذين دَرَسوا في الجامعات السعودية... فضلاً عن أنّ كلية أصول الدين تشتمل على ثُلَّة مبارَكة من الدُّعاة العاملين، والعلماء المتميِّزين، والموجِّهين الصالحين -نحسبهم كذلك، ولا نزكِّي على الله أحدًا- الذين انتشروا في المجتمع الفلسطيني، وأسْهَموا في نشر الوعي الديني في هذا المجتمع، كما أسْهموا في إصلاح ذات البَيْن بين أفراد

شعبنا المجاهد)).

أمّا مَن يحتجّ بما جاء في خطاب أبي عبيدة ويقول بأنّ المقاومة تَصِف بعضَ أفرادِ الطوائف الأخرى ممن قُتِلوا على يد العدو الصهيوني بأنهم شهداء، وأنّ هذا مخالف للثوابت الشرعية؛ **فالحق أنّه لا يجوز لهم هذا الإنكار، وذلك من وجهين**:

**الوجه الأوّل**: أنّ عمل المقاومة هذا إنْ كان خطأً فليسَ من الصواب أنْ يخطّؤوا في هذا الظرف بهذه الطريقة، لسببَين:

السبب الأول: أنّهم يخوضون الآن صراعًا مع العدو الغاشم، وهم بحاجة ماسة إلى النصرة والدعم بكل أنواعهما، وليس من النصرة في شيء التشهير بأخطائهم وإذاعة نقدها بين الناس في هذه الآونة، بل هذا عين التخذيل، وفيه إعانة للعدو.

السبب الثاني: أنّهم أولياء أمور المسلمين في بلادهم، ومعلومٌ ما لِولاة الأمر من خصوصية في الفقه الإسلامي في باب النصح والنقد، بل إنّ هذا الكاتب المدّعي يعلم ذلك جيدًا، وكان قد قال في بداية أحداث معركة الطوفان ما نصّه: ((بوصلة أهل العلم والإيمان بين بلادة التعاقل وطيش التعاطف: فلا ينبغي للمؤمن الحصيف أن يضيّع واجبه، ويتناسى

وظيفته في الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، وأن يَحزن -بل يتقطع قلبه- لكل قطرة دم من مسلم يشهد أن لا إله إلا الله، يسفكها مجرم أثيم عدو لله ورسوله ودينه وأوليائه. ولا ينسى واجبه في نصح أئمة المسلمين وعامتهم، وتسديدهم وتصويب أخطائهم وتحذيرهم ممن يمكر بهم)).

فأين هو الآن بعد مرور عام على كلماته هذه؟ أهو في صفّ بُلَداء المتعاقلين، أم في صف طائشي المتعاطفين؟ وهل ما زال على (ثوابته) متذكّرًا وظيفته في الولاء لله ورسوله والمؤمنين؟ وهل ما زال على (ثوابته) في النصح لأئمة المسلمين وعامتهم؟

الجواب: كلّا؛ فلمْ نجد له كلمة واحدة في موالاة المؤمنين المجاهدين في الأرض المقدسة، ولم نعرف له نصحًا لأئمّة المسلمين هناك، بل وجدناه ينقدهم بأشد عبارات النقد، ويتّهمهم بالأنانية السياسية وتضييع الثوابت وغير ذلك مِن بهتان بلا برهان، وفي توقيتٍ لا يصلح فيه غير النصرة لا الخذلان، لأننا أمام معسكرين لا توسط بينهما ولا ثالث لهما: معسكر الحق ومعسكر الشيطان.

**الوجه الثاني**: أنّ وصْفَهم بعضَ الأشخاص بالشهداء يمكن حمله على محامل تحتمله، فليست هذه المسألة مما يدخل في جملة الثوابت التي لا تتغير في حال من الأحوال، أو ليس لها وجه آخر في الاستعمال. وبيان

ذلك من جانبَين:

الجانب الأول: أنّ وصف المعيَّن بالشهادة جائز على الاعتبارات الدنيوية، أي لبيان حكمه في الدنيا، أما حكمه في الآخرة فلا يعلمه إلا خالقه سبحانه وتعالى، لذلك هو ليس من باب (لا يُقال فلان شهيد) الذي بوّب به البخاري أحد أبواب "كتاب الجهاد والسيَر" من صحيحه، ويتّضح ذلك أكثر بقول شارحه ابن حجر في "فتح الباري": (لا يُقال فلان شهيد أيْ على سبيل القطع بذلك، إلّا إن كان بالوحي)؛ فوصف القتيل في الحرب بالشهادة لا يفيد القطع له بالجنة، ولا بمنزلته عند الله، إنما هو وصف متعلق بأحكام الدنيا، لذلك قال ابن حجر في تتمة شرحه هذا الباب: (وإن كان مع ذلك يُعطى حكم الشهداء في الأحكام الظاهرة، ولذلك أطبق السلف على تسمية المقتولين في بدرٍ وأُحد وغيرهما شهداء، والمراد بذلك الحُكم الظاهر).

الجانب الثاني: أنّ المقتول في جهاد العدو إمّا أنْ يكون من أهل القبلة (مسلمًا) وإمّا أن يكون (كافرًا) معاونًا للمسلمين في حربهم.

فأمّا إنْ كان من أهل القبلة فما المانع من وصفه بالشهادة؟ أم أنّه وصفٌ خاصّ لا يجوز أن ينطبق إلا على طائفة معيّنة من طوائف المسلمين يحدّدها هذا الكاتب المدّعي؟!

فماذا سيقول يا تُرى عندما يقرأ قول الذهبي في: سير أعلام النبلاء (١٧٦/١٨) في ترجمة: ((ثابت بن أسلم: العلامة أبو الحسن الحلبي، فقيه الشيعة... وله مصنَّف في كشف عوار الإسماعيلية وبدء دعوتهم وأنها على المَخاريق... فرحم الله هذا المبتدع الذي ذبَّ عن المِلّة)). والذهبي نفسه قال في بعض الرواة: ((لنا صِدْقُه وعلَيه بِدْعَتُه))، فهذا مِن فقه العلماء وإدراكهم أنّ الجهة منفكّة.

وماذا سيقول عن وصف محمد بهجة الأثري لعدد من علماء الشيعة الإمامية بأنهم مجاهدون مناضلون، ونشرَ لهم بعض مقالاتهم وأشعارهم في نصرة القضية الفلسطينية في بعض أعداد مجلّته (مجلة العالَم الإسلامي)، وشاركَهم في إنشاء جمعية المؤتمر الإسلامي العام، ببغداد والنجف، لأجل نصرة القضية الفلسطينية.

وأمّا إنْ كان إطلاق وصف الشهيد على غير المسلم؛ فهذا شأنٌ آخَر، إذْ يمكن أن نستفهِم مِن مُطلِقه ونقول: ماذا تقصد بالشهادة هنا؟ آلشرعية أم اللُّغوية أم العُرفية؟ فإن قال: الشرعية، فقد بان خطؤه، وأنّه مخالِف للثوابت الشرعية. وأما إنْ قال: أقصد المعنى اللُّغوي أو العُرفي، فهذا فيه نظر واجتهاد، فقد يكون محقًّا وله أجران، وقد يكون مخطئًا وله أجر.

فعلامَ التشنيع والاتّهام؟! أسببه طيش التعاطف؟ أم بلادة التعقّل؟ أم الجهل والتطفّل؟ أم هو كلّ ذلك؟ **نعم، هو كلّ ذلك**.

ولا أريد مغادرة هذا المقام قبل مناقشة قول المدّعي في اتّهامه للمقاومة أنّ في عقيدتهم ((يمكن أن يَرتقي عدوُّ اللهِ ورسولِه والمؤمنين إلى مَصافّ الشهداء لِمُجرّد كونه ظاهرة صوتية تدعَم قضيَّتَهم))! وقد بان بطلان قوله من الجهة الشرعية واللغوية، ولكن بقي زعمه أنّ هذا المشار إليه مجرّد ظاهرة صوتية تدعم قضية فلسطين! وهو بهذا التصريح انتهك جميع الثوابت، انتهاكًا سافرًا!

لأنّ هذا الذي يصفه بأنه (مجرد ظاهرة صوتية تدعم المقاومة) هو جزء من المقاومة وليس داعمًا فحسب، وهو وحزبه القائمون بالمقاومة في الجبهة الشمالية من فلسطين (الجنوبية من لبنان). ومباشرتهم القتال مع المحتل في الأحداث الأخيرة كشفَت عن قدرتهم على الإثخان في العدوّ الصهيوني، وكشفت عن غضب العدو عليهم حتى فعل بهم الأفاعيل، واغتال عددًا كبيرًا من قادة الحزب، كان مِن بَينِهم: الأمين العام -المُشار إليه-.

نحن هنا لا نقصد الدفاع عن هذا الحزب وقادته، إنما نريد **وصف الواقع كما هو**، لبيان كذب هذا المدّعي وإمعانه في مخالفة (الثوابت

الشرعية) من أجل أن يذمّ المجاهدين في غزة ويذمّ جهادهم.

ومثله في هذه الجريمة -بل أشدّ منه- المدعو عبد الحق التركماني، مؤسس مركز تفسير الإسلام ببريطانيا! يقول في هذا السياق: ((مَن لم يفرح لفرح المسلمين في سوريا والعراق واليمن وإخوانهم في سائر البلاد: فهو منافق معلوم النفاق. ومِن أدعية الصالحين: اللّٰهُمَّ أهلك الظالمين بالظالمين وأخرجنا من بينهم سالمين غانمين. فكيف بهلاك المشركين القتلة الظالمين؟!)).

هكذا قال! بئس القول وبئس القائل!

ولقد جمع في هذه السطور القليلة موبقات عظيمة، وهي: تكفير إحدى طوائف أهل القبلة تكفيرًا عامًّا بوصفهم (مشركين)، وهو يعلم أنّ علماء أهل السنة لا يكفرونهم هكذا، وأنّ تكفير بعض عقائدهم لا تعني تكفير المعتقِد بها حتى تتوفر فيه الشروط وتنتفي عنه الموانع المعلومة عند أهل العلم.

ثم زاد على ذلك تكفير عموم المسلمين بِتَرْكِهم عملًا من الأعمال هو (الفرح بمقتل بعض الأفراد الذين صدرت منهم جرائم بحقّ بعض المسلمين). فهو يرى أن كُلَّ مَن لم يفرح فهو منافق نفاقًا أكبر، وأنّه

معلوم النفاق عنده!

وهذا لا يقوله إلّا ورثة الخوارج التكفيريين، فهو يحمل لوثتَهم وأخلاقهم في (أذيِّتهم أهلَ الإسلام وتركهم أهلَ الأوثان).

**ونسأله من باب الإلزام** -ونحن نعرف جوابه لمعرفتنا به-، **فنقول**: لماذا لم تفرح بمقتل (عدي وقصي نجلي صدام حسين) على يد القوات الأمريكية المحتلة؟ أم هم عندك رموز وطنية وحمامات سلام ودعاة للإسلام؟! ولماذا لم تفرح بإعدام الطاغية المجرم السفاح صدّام حسين على يد المحتل وأعوانه؟! ولماذا لم تكفّر الذين لم يفرحوا آنذاك؟!

مَهما كان جوابك اِجعلْه جوابَ هؤلاء الذين رميتَهم بالنفاق الأكبر! وأخرِس فمك الذي فضَحَ منهجَكَ وعقلَك.

**المطلب الثاني (نقض الاتهام الثاني):**

**اتّهم المدّعي القائمين على المقاوَمة بالأنانية السياسية،** وهذا اتّهام لم نسمعه إلّا في الإعلام الصهيوني ومَا والاه! ومِن آخِر ما يتعلّق بهذا الاتّهام أنّ صحيفة (جويش) الصهيونية اللندنية، وصحيفة (بيلد) الألمانية، نَشرَتا قبل ذكرى طوفان الأقصى بشهر -في يوم (٦/ ٩/ ٢٠٢٤م) تحديدًا- خبرًا مفاده: أنّ الجيش الصهيوني عثر على جهاز (اللابتوب) الخاص بالقائد يحي السنوار، ووجد فيه وثيقة سرّية فيها خطط قيادة حركة حماس "لخداع" المجتمع الدولي واستخدام عائلات أسرى الصهاينة لتحقيق **هدف رئيس، وهو: استعادة القدرات العسكرية لحركة حماس وتأمين استمرار سيطرتها على قطاع غزة!!**

وتشير الوثيقة بوضوح إلى أنّ حماس لا تنوي السعي لإنهاء سريع للحرب من أجل سكان غزة، بل على العكس، توضح أنه "يجب تحسين الشروط المهمة في الاتفاق حتى لو تطلّب ذلك استمرار المفاوضات لفترة أطول".

وفي الوثيقة تعترف حركة حماس بأن "قدراتها العسكرية ضعفت"، لكنها لا ترى ضرورة لوقف القتال بسرعة على الرغم من **معاناة سكان غزة.**

وأنّ السنوار وباقي **القيادات يخططون للهروب من غزة** مستعملين

الرهائن دروعًا بشرية!

هذا ملخّص ما جاء في الوثيقة السرّية المزعومة، قبل أن يُصوّر العدوّ مقتل السنوار في عمليّته البطولية، التي كانت الفتيل المشتعل للبحث عن حقيقة ما نقلته تلك الصحف العالمية الرسمية؛ فقد رُفِعَت دعاوى قضائية وجرى تحقيق في ذلك، بعد أن أثارَ القضيةَ وزيرُ الدفاع الصهيوني (گالانت)، الذي أقاله رئيس وزرائهم (نتنياهو) -مؤخَّرًا- إثر خلافات تتعلّق بهذه التسريبات، لِيَتبيّن أنّ ما نُشِر هو **أخبار ملفّقة** كانت تصب في صالح مشروع (نتنياهو)! فقد اعترف الصحفي الذي قام بنشر هذه التسريبات بأنّه تلقّى هذه الوثيقة من أحد رجال (نتنياهو)، ثم اعترف هذا المسرِّب بأنه فعَل ذلك بالتعاون مع آخَرين، وتَبيَّن أنّه لا صحّة لعثورهم على جهاز السنوار، ولكنهم وقفوا على بعض الوثائق التابعة لحركة حماس، **فقاموا بتزوير محتواها ثُمّ تسريبها إلى الصحافة..** وما زال التحقيق عندهم مستمرًّا، وربّما ينتهي الأمر إلى إدانة (نتنياهو) نفسه، الذي يماطل في المفاوضات ولا يهتمّ لشأن أَسْراهم.

**فالحمد لله الذي برّأ المقاومة على لسان أعدائها..** وقد أحسَن الإعلامي الشريف عبد الله الشريف في إعداد حلقة خاصة بهذه الفضائح، مبرزًا فيها الأدلة الوثائق، بعنوان: (براءة من الله). وليتَ

صاحبنا المدّعي يتعلّم من هذا الإعلامي الشريف حقيقةَ العقيدة والنزاهةَ والصدقَ. لا أقول هذا تهكُّمًا، بل هي -واللهِ- نصيحة خالصة له ولأمثاله ممن أتناولهم بالنقد -هنا-. وأنصحهم أيضًا بدراسة التاريخ دراسة عِلْمية منهجية، لا جردًا عابرًا (هوائيًّا)، وبأن يحذوا حذو الأخ الشيخ أحمد بن يوسف السيّد، الذي بات مثالًا بارزًا للرجل المنضبط العارف المؤصَّل، بمشروعاته البِنائية الشمولية الرصينة، وقد بدأ اليوم بسلسلة جديدة تحت عنوان: (الأمّة بين احتلالين).

أمّا صاحبنا الذي يدّعي (الثوابت)، فما زال مُصِرًّا على أن يخالف (الثوابت)، فنراه هنا يتكلّم عن (الأنانية)، ومعلوم أنّها **من أفعال القلوب**، ومن كوامن الصدور، ولكنه بكل ثقة وجراءة يجزم -ولا يخمّن- أنّ هؤلاء كانت الأنانية دافعهم؛ فهو أمام خيارين: إما أن يكونوا قد أخبروه بذلك، وإما أن يكون اطّلعَ على ما في صدورهم، فيكون بذلك أولى بوصف مخالفة (الثوابت)، ويتنزَّل فيه المثَل القائل: (رمتني بدائها وانسلّت).

فوا عجباه ممَّن ينتسب إلى دعوةٍ يزعم أصحابها أنّ شغلهم الشاغل **تصحيح العقيدة**، ثمّ هو يخالف بديهيات العقيدة وينازع الإله في علم الغيب! ويتألّى عليه -سبحانه وتعالى-!

أين هو من قول الله سبحانه وتعالى: {**وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا**}؟

فوا عجباه من هذا المدّعي الذي بات يتصدّر لإقراء كتُب الحديث وهو يخالف الحديث جهارًا نهارًا!! فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**مَن قال في مؤمنٍ ما ليس فيه؛ أسكنَه الله رَدْغَة الخَبال، حتّى يخرُج مما قال**"، رواه أحمد بسند صحيح.

وقال عليه الصلاة والسلام: "**إنّ مِن أربى الربا الاستطالةَ في عرض المسلم بغير حقّ**"، رواه أبو داوود بإسناد جيّد.

وهل يفقه شيخُ الحديثِ -هذا- قولَ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي يرويه أحمد بإسنادٍ حسن: "**ما من امرئٍ مسلِم يَخذلُ امرأً مسلمًا في موطِن تُنتهَك فيه حُرمته، ويُنتقَص فيه من عرضه، إلّا خذلَه الله في مَوطن يُحبّ فيه نُصرتَه**"، أما يخاف هذا الوعيدَ؟!

وفي تتمّة الحديث: "**وما من امرئٍ يَنصر مسلمًا في موضع يُنتقَص فيه من عِرضه، ويُنتهَك فيه من حُرمته، إلّا نَصره الله في موضع يحبُّ فيه نُصرتَه**"، فاللّهُمَّ اجعلنا من أهل هذا الصنف.

## المطلب الثالث (نقض الاتهام الثالث):

**اتّهم المدّعي القائمين على المقاومة بأنّ مواقفهم مخزية تجاه قضايا المسلمين ومصائبهم، وذلك باختزالها وصهرها في القضية الفلسطينية فحسب**؛ فنلاحظ ابتداءً تعبيرَه عن القضية الفلسطينية بقوله (القضية التي يتبنّونها)! وقوله: (تدعم قضيّتهم)! وكأنّها قضيتهم فحسب، أو كأنّه لا يتبنّاها هو!! بينما كنا نراه قديمًا يستعرض بعض مذكرات والده -رحمه الله- الذي كان أحد جنود الجيش العربي في حرب الصهاينة سنة (١٩٤٨م)! فهل الجهة منفكّة؟! أم أن القضية لا تكون قضيّته إلا حين تتبنّاها الفئة الّتي يرتضيها؟!

ثُمّ إنّ المقاومة الفلسطينية منذ يومها الأوّل منشغلة بقضيّتها، **وهي القضية الكبرى في موازينها وفي موازين كلّ عربي ومسلم**، وهذا أمرٌ مفروغٌ منه، لأنه من ثوابت الدين الحنيف، لذلك نجد العلماء والمُصلحين -غير المنبطحين ولا المسيَّسين- قد أكّدوا ذلك، من أمثال: عز الدين القسام، وأمين الحسيني، وشكيب أرسلان، وعبد الحميد بن باديس، والبشير الإبراهيمي، وأحمد شاكر، ومحمود شاكر، والطاهر بن عاشور، والفاضل بن عاشور، والخضر حسين، ومحب الدين الخطيب، ورشيد رضا، وعبد الرحمن السعدي، وبهجة الأثري، وأمجد الزهاوي،

وتقي الدين الهلالي، وأبي الحسن الندوي، وغيرهم كثير -رحمهم الله- ممن ذكرنا مواقفهم في العدد الخاص بقضية فلسطين من مجلّتنا (روى)، وممن صنعنا لهم سلسلة للحديث عن مواقفهم في برنامج (هؤلاء المصلحون والأرض المباركة) بمعيّة الأستاذ أحمد صبري، الذي عمل على إنتاجها وإخراجها -مشكورًا- في قناته "عين على التراث".

لقد كان هؤلاء العلماء المصلحون يسمُّون القضية الفلسطينية: أُمّ القضايا، أو القضية الكبرى، أو القضية المركزية، ونحو ذلك.

بينما هذا المدّعي **لا يعي حقيقة مَنازل المسائل والقضايا**، ولذلك نراه بعيدًا عن الحكمة والعدل والإنصاف، فهو نموذج أمثل لمخالفة ما قاله في أحد منشوراته: ((معرفة منازل المسائل من أعظم أسباب العدل والإنصاف عند الاختلاف)).

فالذي أريد أنْ أقولَه: إنّ قضية فلسطين هي القضية الإسلامية العربية الرئيسة على مدى أكثر من قرن من الزمان، وهذا من (الثوابت الشرعية)، لأنها في الحقيقة دفاع عن أرض محتلة، ولأنها أرض مقدّسة، ولأنها أرض وقفية، ولأنّ أهلها تعرَّضوا ويتعرَّضون لإبادة شاملة وتهجير واسع، ولأنّ العدوّ يهدف إلى التوسُّع والإضرار بسائر دول المنطقة (الشرق الأوسط)، بل قد فعَل، **وهو عدوّ ظاهر العداء خالص**

**الكفر، لا شبهةَ في قتاله من أيّ وجه.**

فهل بعد هذا يحقّ لنا أن نطالِب المقاومة بالالتفات إلى قضايا المسلمين الأخرى وهم منغمسون في واجبهم الكبير هذا؟! مع أنّ غالب قضايا المسلمين التي يشير إليها هذا المدّعي هي قضايا **فتن داخلية وحروب أهلية**، وغالب أحداثها تجري بين المنتسبين إلى الإسلام، ولها دوافع سياسية بالدرجة الأساس.

إذن هو لا يقصد بـ(قضايا المسلمين) ما يجري في بورما -مثلًا- أو الصين أو الهند وغيرها من اعتداء على المسلمين لأنهم مسلمون. ومع ذلك لا يمكن للمقاومة أن تلتفت إلى هذه القضايا ولا حتى إلى ما يجري في سوريا والسودان واليمن وغيرها من البلدان القريبة ذات **الصراعات الداخلية**؛ لأنّ المقاومة منشغلة بما يعنيها، وبما كرّسَت نفسَها لأجله وهي القضية المركزية.. فإنّها إن خاضت في غير ما يعنيها كان ذلك معيبًا في حقّها، لأنها قد تكون غير مدركة لحيثيات تلك القضايا جيدًا. بل قد يؤدي انشغالها بالقضايا الأخرى إلى تقصيرها في قيامها بما نذرت نفسها لأجْله، وفي مثل هذا قالت الحكمة العربية: "ملتفتٌ لا يَصِل".

ومع ما سبق ذِكرُه إلّا أنّنا نجد في سيرة المقاومة ما يدلّ على أنّها تهتمّ

لقضايا المسلمين في مواقف متعدِّدة، وتساندها ولو بكلمة أو دعوة، وهذا شأن المسلم دومًا، ومن أمثلة ذلك: موقفهم عند احتلال أمريكا لأفغانستان والعراق.

بل إنّ خليفة الشيخ أحمد ياسين في قيادة الحركة: الدكتور عبد العزيز الرنتيسي -رحمهما الله- نظَّمَ مظاهرة حاشدة في غزة بعشرات الآلاف، لاستنكار الاحتلال الأمريكي للعراق، وفي هذه المظاهرة قال ما نصّه: ((إننا نقول للشعب العراقي المسلم: نحن معكم في معركتكم ضد الإرهاب والإفساد الأمريكي، نحن معكم في معركتكم التي تخوضونها دفاعًا عن الإسلام، حيث أن الحمْلة الصليبية تستهدف الإسلام في العراق كما تستهدف الإسلام في فلسطين، نحن معكم، ولولا أنّ المفسدين اليهود في فلسطين يعيثون في الأرض فسادًا لوجدتمونا معكم هناك)).

فهذا القول صريح وواضح في أنّ المقاومة الفلسطينية **تركّز على هدفها في قتال المحتل الصهيوني**، وأنّها مع ذلك **لا تنسى ولاءها للمسلمين في كل مكان**، ممن يتعرّضون لمثل ما تعرّضَت له من احتلال وإفساد وإرهاب من دول الشر الكبرى.

وفي بعض الأحيان **تضطر المقاومة إلى السكوت وعدم التدخّل في**

بعض قضايا المسلمين التي **يكون الخوض فيها مُضِرًّا بجهادها**، لأنّ المقاومة لها تحالفات سياسية وعسكرية واقتصادية قد تمنعها من التصريح ببعض الأمور التي تؤدّي بالنتيجة إلى الإضرار بالقضية الكبرى نفسها.

وقد دلّ على جواز صنيعهم هذا ما عقده رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من صلح مع المشركين، المعروف بصلح الحديبية، فلم يكن يتدخّل في قضايا بعض المسلمين خارج المدينة، مع ما كان يصيبهم من أذى المشركين على مرأى منه ومسمع.

**إنّ هذا الفقه بعيد عن أهل التطفّل، لأنّ هَوائِيَّتَهم تجعلُهم لا يُدركونهُ**، بل ثَمّ مؤشّرات تدلّ على أنّ هذا الفقه لا يروق لهم إلّا إذا كان متعلِّقًا بطائفتهم! فموازينهم متقلِّبة، ومَسالكهم مضطربة، يحّرمون اليوم ما كانوا يجيزونه بالأمس، ويذمّون ما كانوا يمدحونه، **ويَجِدون المَعاذير لأصحابهم ولو بالتأويلات المتعسِّفة، ولا يرون وجهًا لإعذار غيرهم!**

فأيّ الفريقين أحقّ بأن توصَف مواقفه بأنها (مواقف مخزية)؟!

## المطلب الرابع (نقض الاتهام الرابع):

**اتّهم المدّعي القائمين على المقاوَمة بأنّهم يرون كلّ ما يجري على الأمة من ويلات -بسببهم- هو مجرّد "خسائر تكتيكية"!!**

ويبدو أنّ المدّعي قد سمع هذه العبارة مقتطعة من سياقها، أو أنه سمعها في سياقها الذي جاءت فيه، ولكنّه وضعها في سياق آخَر يشتهيه، إمعانًا منه في ذمّ المقاومة! وكِلا الخيارَين مُرّ، ولا ثالث لهما!

لقد صدرت عبارة (خسائر تكتيكية) على لسان خالد مشعل أحد قادة حماس في كلمة له بمناسبة مرور عام على طوفان الأقصى، وكلامه حقٌّ فيما يتعلّق بمقارنة خسائر الاحتلال مع خسائر المقاومة، **ولا يعني هذا بحالٍ من الأحوال الاستهانةَ بدماء الأبرياء التي سالت بسبب هذه الحرب**، لأنّه قد صرّح في كلمته هذه نفسها قائلًا: ((نعم، **دفعنا أثمانًا باهظة** في ظل هذا الطوفان، كيف لا! هذه الدماء.. دماء الأطفال والنساء.. هذا التشريد.. هذا التجويع.. هدم المساجد والكنائس والجامعات والمدارس والبيوت حتى مقرات الأمم المتحدة... حرب الإبادة الجماعية التي ترتكبها القيادة الصهيونية التي جعلت العالم يضجّ... كل ذلك **يدل على أنّ هذه الخسائر خسائر كبيرة... ولكن** أقول: خسائرنا تكتيكية وخسائر عدوّنا استراتيجية)). ثُمّ شرحَ مقصودَه

من ذلك مفصَّلًا، فمّما قاله: ((إنّ العدو الآن يفقد مساره الاستراتيجي، ويعجّل نهايته المحتومة إلى الفناء والزوال، **وخسِر على كلّ الصُّعُد**. ثُمّ إنّ **الأثمان الباهظة** دفعتْها كلّ الشعوب، المسلمة وغير المسلمة، عبر التاريخ، ما من شعب إلّا ودفعَ أثمانًا غالية على طريق التحرير، وفي النهاية: الشعوب انتصرت، وقوى الاحتلال انهزمت واندحرت)).

هذا هو نَصّ كلامه، وهذا هو سياقه؛ **فكيف يجوز لمدّعي الثوابت أن (يجتزئ) ما يحلو له من عبارات ويضعها في سياقٍ آخَرَ مختَلَق**؟!

ترى بماذا يختلف هذا التصريح من حماس عن تصريح الشيخ أبي إسحاق الحويني حين يقول: ((ونحن نعلم أننا برغم جسامة المحنة إلا أننا سنخرج منتصرين منها إن شاء الله، فلا تعدُّوا قتلاكم، لأنّ عدّ القتلى يُحدِث خوَرًا في النفوس، فلا تفعلوا ذلك، لأنّ قتلانا في الجنة إن شاء الله، وقتلاهم في النار إن ماتوا على كفرهم)). وقال الحويني أيضًا -في سياق آخَر-: ((أهل العلم يصرخون منذ خمسين سنة بأنّ التمكين ليس في هذا الطريق -طريق السلام وحلّ الدولتين-. لن ترجع القدس مطلقًا إلّا على أسنّة الرماح. هذا كلامٌ نهائيّ لا يحتاج إلى نقض ولا إبرام حتى في قانون السياسة)).

إنّ كلام حماس وكلام الحويني لَمِن مشكاة واحدة، ولكن المدّعي

يأبى إلّا أن يصف حماس بالأنانية وأنّ الذي يفعلونه من جهاد يجرّ الويلات على المسلمين!! بينما لا يجرؤ على أن يتّهم أبا إسحاق الحويني بمثل ذلك، بل نجده يكيل له بالغ الثناء، ويصفه بأنّه ((العالم العلامة المحدّث الذي نشرَ السنّة، وذبّ عنها، وقام على ثغرها، ودعا إلى الله، وعمِلَ لهذا الدين))، هذه هي حقيقة ميزان هذا المدّعي.

ثمّ إنّه يتغافل عن النكاية بالعدوّ الصهيوني وعن تكبيده الخسائر المَهولة في هذه المعركة الأخيرة الّتي لم يخسر مثلها من قبل، **على جميع الأصعدة**: الأمنية والعسكرية والاقتصادية والدبلوماسية والطبية والبنى التحتية والأراضي الاستيطانية، فضلًا عن القتلى والجرحى والأسرى والهجرة العكسية والمرضى النفسيين، وفضلًا عن عدم تمكّنهم من الإضرار بالمقاومة، وفضلًا عن عدم تمكّنهم من الاستيلاء على مزيد من الأراضي، وفضلًا عن كسْب أصوات الأحرار مِن جميع العالَم لِصالح الفلسطينيين... كل هذا:

وعيـن الرِّضـا عن كلّ عيـبٍ كليـلـةٌ

لكنّ عيـن السُّخط تبدي المَسـاويا

إنّ الأثمان الباهظة يدفعها كلُّ الأحرار على مَرّ التاريخ مهما كانت

دياناتهم، والمسلمون على وجه الخصوص الذين لهم علماء مرجعيّون يتقيّدون بأحكام الشريعة قد شهدوا في تاريخ العصر الحديث مَشاهد عديدة مثل ذلك، وكان علماؤهم يقفون في صف المقاومة داعِمين ومثبِّتين ومُؤيِّدين؛ فمِن أبرز الأمثلة على ذلك:

- ثورة الجزائر ضد الاستعمار، التي راح ضحيتها ملايين الجزائريين المدنيين العزّل، فضلًا عن عسكر المقاومة، حتى أنّ العدو المحتل قتل في يوم واحد زهاء خمسين ألف جزائري، في مجزرة مشهورة سنة (١٩٤٥م)، وما سمعنا أحدًا قال بأنّ **(ما جرى على الأمة من ويلات هو بسبب تلك المقاومة)**، بل ما زالت هذه الثورات تُدرَّس ويُضرَب بها المثل في التضحيات، مِن قِبَل العلماء والقادة والمربّين وحتى العامّة.
- ثورة ليبيا ضد الاستعمار، وما فعله عمر المختار، الذي تُضرَب ببطولاته الأمثال، ولا يذكره عالِم شرعي ولا مسلم عامّي إلا وأثنى عليه عظيم الثناء، وما سمعنا أحدًا قال بأنّ **(ما جرى على بلده من ويلات هو بسبب طيشه الحركي وأنانيته السياسية)**!
- حرب الشيشان في استقلالها عن أقوى كيان في العالَم، التي كانت أول دولة أعلنت الاستقلال عن الاتحاد السوفيتي. لم نَجِد عالِمًا واحدًا قال: إنّ ما جرى على المسلمين من (ويلات ومجازر) كان

بسبب مطالبة السياسيين بالاستقلال! وأنّ (أنانيتهم السياسية) دفعتهم إلى الاستهانة بدماء المسلمين والاستهتار بالأرواح!

والأمثلة تطول، لكنني ذكرتُ ما هو عالق بأذهان جميع الناس، حتى لا يتلاعب بهم المخذِّلون، ويَثْنونَهم عن (الثوابت) اليقينية إلى (ثوابتَ!) خيالية!

علمًا أنّ هذه الثورات والمقاوَمات لم تكن كلها على وتيرة واحدة من النجاح، بل فشلت كثيرًا، وهُزمت كثيرًا، وكان أصحابها يصالحون العدوّ ويهادنونه -أحيانًا-، لكن لم يكن في علمائهم مَن يُطلق القولَ بتحريم مقاتلة العدوِّ في ذلك الوقت بحجّة عدم التكافؤ أو الضعف. بل استطاعوا بثبات إيمانهم واستمرار عزمهم وتخطيطهم وإعدادهم للمقاومة بما يستطيعون: أنْ تكون النتيجة لصالحهم، ويكون النصر حليفهم، ولو بعد حين.

واعلمْ أنّ ضَرْب الأمثلة بالتاريخ ليس من الأدلة الشرعية في استنباط الأحكام، لكنه من الشواهد المهمّة على فقه علماء الشريعة الذين عاصروا تلك الأحداث وتكلّموا فيها بعكس ما يدّعيه هؤلاء من ثوابت فارغة ومواقف متناقضة. **إذَن أمثلة التاريخ مفيدة جدًا في هذا الباب، للمقارنة بين مواقف أهل التخذيل أدعياء الثوابت، وبين مواقف الطائفة المنصورة**

**من علماء ومجاهدين ودعاة وداعمين وساسة ومسوسين.**

وأزيد الآن على كلام خالد مشعل ما يمثّل الحقيقة الّتي يجب أن نصرّح بها دون مواربة ولا مسايسة، فأقول: إن هذه الخسائر الكبيرة من دماء شعبنا وأمّتنا في فلسطين، إنْ كانت ستُحسَب على جهة **فلتُحسَب** ضمن خسائر الاحتلال الذي لم يستطع النيل من المقاومة، وإنّما وجَّه قوَّته على المدنيّين المستضعَفين العُزّل بحجّة أنّ المقاومة قد اتخذتهم دروعًا بشرية، وهو زعم كاذب، وحتى لو افترضنا صحته فيكون عذرًا أقبح من ذنب!

وإنْ كانت هذه الخسائر العظيمة -أيضًا- ستُحسب على جهةٍ **فلتُحسَب** ضمن الخسائر الأمميّة العالميّة، فرؤساء الأمّة وقيادات العالَم يتفرّجون على هذه الإبادة والمحرقة والدمار والدماء، ما بين داعمٍ للعدو، ومستنكرٍ على خجل لا يحرّك ساكنًا، فكل هذه الخسائر في رقابهم، لا في رقبة المقاومة.

لا سيّما إذا علمنا أنّ سلطة المقاومة في قطاع غزة تقتصر على سكانها، لا على سكّان مخيّمات اللاجئين في القطاع -وهم الشريحة الكبرى هناك-، لأنّ هذه المخيّمات تحت رعاية الأمم المتحدة وحمايتها! فماذا صنعَت الأمم المتّحدة؟!

**والقول بأنّ هذه الخسائر (سببُها المقاومة)، هو قول مَن ليست له بصيرة**، لسببين أحدهما عام وآخَر خاص:

**فالسبب العام**: أنّ العدوّ مستمرّ في إجرامه وطغيانه وعدوانه السافر على فلسطين وجميع دول المنطقة، سياسيًّا واقتصاديًّا وعسكريًّا وفكريًّا، ولن يتوقّف إذا توقّفَت المقاومة. ولذلك رأينا قائد طوفان الأقصى يحي السنوار -عليه رحمة الله- يقول: ((إنّ إسرائيل التي تمتلك ترسانة الحرب الكبرى التي فيها أدق الأسلحة وأعتى الطائرات تقتل أطفالنا ونساءنا بعمد وتقصُّد وهي تريد ذلك، لا يمكن أن تُقارَن بمن يدافع عن أرضه بأسلحة بسيطة. نحن مضطرّون أن ندافع عن شعبنا بالوسائل المتاحة لدينا، وهذا ما هو متاحٌ لدينا، ماذا نستطيع أن نفعل؟ هل نرفع الراية البيضاء؟ نحن لن نرفع الراية البيضاء. هل المطلوب منا أمام العالَم أن نُقتَل وأن نكون الضحية الطيبة حسنة الأخلاق التي تُقتَل دون أن يرتفع لها صوت؟! هذا غير ممكن بالمطلق. نحن قرّرنا أن ندافع عن شعبنا بما أوتينا من قوة)).

بل يقول أستاذه: أحمد ياسين -رحمه الله-، حينما سُئل في حوار مصوَّر: أنتم متَّهمون بأنكم بعملياتكم تخرّبون كل الخطوات الإيجابية التي يمكن أن تحصل بها السطلة الفلسطينية على الأرض وفق

الاتّفاقات؛ فقال: ((هذا كلامٌ مقلوبٌ. مَن الّذي يخرِّب ويسبب الآلام لشعبنا؟ الاحتلال أم المقاومة؟ المقاومة حق لأي شعب في العالَم أن يقاوم الاحتلال، الآن تتغير النظرية فتصبح المقاومة هي سبب مآسي شعبنا!! الاتفاق السلمي هو عبارة عن تغيير جديد لشكل الاحتلال، يمنع مَن يشاء ويقبض على مَن يشاء ويسجن من يشاء، هو يهدم كل يوم البيوت، ويعتقل كل يوم من أبنائنا وشبابنا، يمنعنا حتى العمل، يمنعنا الطعام والشراب، هو يستولي على أرضٍ في كل يوم، ويُقِيمون مُستوطَنات! أين هي الاتفاقية؟! الاتفاقية هي أرض مقابل سلام؛ فلماذا يستولون على الأرض في كل يوم؟! ولماذا يحاصِرون القدس؟! ولماذا يمنعون الناس أنْ يعيشوا فيها!؟ ولماذا يسحبون الهويّات؟! فأين هو الاتفاق إذن؟! نحن نقاوم الاحتلال ما دام موجودًا)).

إذن هذه المقاومة تعمَل على بصيرة، وهي مُدرِكة تمامًا أنّ **عمَلَها عمَل المقاوِم لا المهاجِم، وعمَل المدافِع لا المتحرِّش** -لا كما تُصوِّرها حكومات التطبيع ومنصّات إعلامِهم وأبواقهم من مشايخ السُّوء-؛ فالقتل والغصب والتجويع والتهجير والتضييق والتوغّل كل ذلك **موجود ومستمرّ** منذ أول يوم دخلَ فيه الاحتلال إلى أراضينا، **وإنّما يتكثّف عندما توجِعهُم المقاومَة، فَهُم اليوم أشدّ ضراوة لأنّهم لم يذوقوا مِن**

**المقاومة كالّذي ذاقوه هذه الكرّة**، وقد اعترف العدوّ بذلك مؤخَّرًا، فذكرَ وزيرُ دفاعه الجديد أنّهم دفَعوا ثمنًا باهظًا، ولكنّ هدفهم الرئيس هو القضاء التام على المقاومة، وهذا الأهدف نعرف نحن وإيّاهم أنه لا يمكن تحقيقه، فخداع أنفسهم وشعوبهم بقتل القادة لا يعني قتل المقاومة، وقد شهِدوا ذلك منذ اغتيالهم أحمد ياسين ومَن بعدَه، وبالتالي نعرف أنهم **لن ينتصروا ما داموا لم يحقّقوا هذا الهدف**.

كما أنّ من أهداف العدوّ استرجاع أَسْراه، وهذا لن يحدُث إلّا على طاولة المفاوضات بحيث تضع المقاومة شروطها بتبادل الأسرى والانسحاب من غزة. **وإنّ مجرّد خضوعِ العدوّ للمفاوضات يُعَدُّ خسارةً لهم ونصرًا للمقاومة**، فكيف ونحن نرى في الأفق أنّ العدوّ سيجرّ أذيال الخيبة ويعود دون تحقيق أيّ هدف من أهدافه -إن شاء الله-؟!

**وأما السبب الثاني**، وهو السبب الخاص بهذه الواقعة الأخيرة في غزة؛ فإنّ المقاومة لها جهاز استخبارات عَرفَت من خلاله أنّ المحتلّ كان سيبدأ عمليات عسكرية للقضاء على المقاومة -بزعمه-، فما كان من المقاومة إلا أن باغتت العدو قبل أن يبدأ، ليكون موقفها في الدفاع أقوى، وإثخانها في العدوّ أشدّ، ولتكون بين أيديها ورقة (الأسرى) لإخضاع المحتل للتفاوض وإرغامه على قبول الشروط. **وإلّا فإنّ الحرب**

**كانت قادمة على كل حال، سواء بدأت المقاومة أم لم تبدأ**، ولهذا رأينا المحتل في أول أيام الحرب كان يستهدف مواقع قادة المقاومة، لأنه كان قد خطط مسبقًا لكل ذلك، ومما يدل على تخطيطه أيضًا أن هذه الحرب طالت كل هذه المدّة بخلاف ما سبقها من حروب، لأن خطّتهم الجديدة هي الاستمرار في القتال إلى أن يقضوا على المقاومة تمامًا.

ولكي لا يكون هذا الكلام مُلقًى على عواهنه، فإنّني أذكر عليه دليلين: دليلًا من كلام المقاومة نفسها في تصريحاتها في بدايات الحرب، ودليلًا من كلام العدوّ مؤخَّرًا يؤكّد صِدق ما قالته المقاومة.

فأما تصريحات المقاومة، فتمثّلَتْ فيما أذاعه صالح العاروري -رحمه الله-، نائب رئيس المكتب السياسي لحماس، حيث قال: ((نحن قُمنا بضربة استباقية، فنحن لدينا عِلم أنّ هناك ترتيبات لِمَا بَعد الأعياد، لِشَنّ هجوم مباغِت علينا)) ويقصد بالأعياد: أعياد اليهود في مطلع سَنتهم، وهي قرابة أربعة أعياد موزّعة على شهر أكتوبر. أي أنّ المقاومة سبقت الاحتلال إلى الهجوم بأيام قليلة، وهذا ما لم يكن في حسبانهم، وقد أشار رئيس وزراء الاحتلال "نتنياهو" إلى أنّ هناك تسريبات وصلت إلى المقاومة.

وقد صرّحتْ مؤخَّرًا القناة الثانية عشرة العبرية التابعة للاحتلال

الصهيوني، في تقرير لها بَثَّتهُ بتاريخ (٢٠٢٤/١١/٢٣م) ونقلَتْ صحيفةُ "ميدل إيست آي" البريطانية في اليوم التالي بعضَ ما جاء فيه على موقعها الرسمي، أنّ خطّةً قُدِّمَت لرئاسة الوزراء الإسرائيلية في الأول من أكتوبر سنة (٢٠٢٣م)، أي قبل أسبوع من هجوم حماس، حيث التَقى "نتنياهو" مع رئيس أركان جيش الاحتلال، ورئيس جهاز الأمن العام "الشابك"، من أجل الاستعداد لحملة كبرى ضد حركة المقاومة الإسلامية (حماس).

**فلا يتشدّق المتشدّقون بوجوب حفظ الدماء، أو يتغنّوا ببعض ما لا يفقهون من قواعد الفقه الإسلامي المتعلّقة بارتكاب أدنى المفسدتين، ليُسكِتوا المقاومة ويمنعوا الجهاد ويخذلوا الأحرار، فَيُمَكِّنوا العدوَّ مِن رقابنا أكثر فأكثر..** وهذا ما تريده حكوماتهم العميلة لأمريكا وإسرائيل، لذلك نَراها تمكِّنهم من المَناصب الدينية والمَنابر الإعلامية والهيئات الإفتائية!!!

وما أصدق قول المتنبي في أمثالهم:

يَرى **الجُبَناءُ** أَنَّ **العَجزَ** عَقلٌ ... وَتِلكَ خَديعَةُ الطَبعِ اللَئيمِ

وَكُلُّ شَجاعَةٍ في المَرءِ تُغني ... وَلا مِثلَ الشَجاعَةِ في **الحَكيمِ**

وَكَم مِن عائِبٍ قَولًا صَحيحًا ... وَآفَتُهُ مِنَ **الفَهمِ السَقيمِ**

وكمْ أعجَبني كلام الدكتور بندر الشويقي في مقاله: "**بدعةٌ في فقه الجهاد**"، حين قال:

((في أحداث غزة الحالية كتبَ آخرُ مُعلِّقًا ومُعرِّضًا:

"ليلاً: عدوٌّ أحمد يَقتل أحدَ أولادِه..

أحمدُ يُطلق النار تجاه العدو..

العدو يدمِّر بيت أحمد ويقتل بقية أولاده..

صباحًا: يحتفل أحمد بانتصاره..

والله لا أدري أضحكُ أم أبكي... تريدون أن نلغي أبصارنا وأسماعنا وعقولنا ونسلمها لكم".

سُئل هذا القائل عمّا يجب أن يفعله أحمد؟ فأجاب: "يجب على أحمد أن يفعل مثل محمد صلى الله عليه وسلم، يهادن الكفار مدّةً، يعدُّ العدّة الإيمانية والعسكرية التي ترهب العدوَّ وتردعه، ثم يأخذ حقَّه".

**هكذا -وبكل سذاجةٍ- يَتمُّ تصويرُ حربٍ تدور رحاها منذ أكثر من ستين عامًا. وكم تمنيتُ لو أنّ هذا القائل شرح لنا: كيف، وأينَ سيتم إعداد العدّة؟!**

متى شاع هذا **الفقه العجيب** الذي سيفتح بلاد الإسلام للعدوِّ يجوبها طولًا وعرضًا ليستأصل أيَّ بادِرةِ إعدادٍ دون خوفٍ مِن أدنى

مقاومةٍ أو ممانعةٍ؟!

وإذا كان هذا القائلُ يَذكُر عن نفسه: إنّه لا يدري هل يضحك أم يبكي من قصة أحمد، فلْيأذَن لي أنْ **أحدّثه بقصّة زيدٍ، فربّما يجد فيها مَزيدًا من دواعي الضحك والبكاء**:

ليلاً: عدوٌّ زيدٍ يقتل أحد أولاده ..

أراد زيدٌ أن يردَّ.. صاح به جارُه: إياكَ.. ليست هذه طريقة الراسخين في العلم.

أمسكَ زيدٌ، فلم يحرّك ساكنًا. حين جاء العدو وقتل ولده الثاني، وأتبعه الثالث.

عاد العدو ثالثةً، فذبح الأسرة كلها، وهدم الدار..

لم يزل زيدٌ متمسّكًا بما ظنّه منهج الراسخين..

أشاع زيدٌ هذا النهج في بلدته..

جاء العدوّ، فقتل المزيدَ من أبناء البلد واحتلّها..

لم يقاوم أهلُ البلدة، لأنّ المقاومة حرامٌ عليهم قبل إعداد العدّة.

طمع العدوُّ فأخذ البلدة الثانية والثالثة والرابعة.. ولا مقاومة أو ممانعة..

استمرّ العدوّ في أكل بلاد الإسلام بكل نعومةٍ، دون أن يخسر قطرةَ دمٍ، ببركة ما يقالُ إنّها: طريقة الراسخين في العلم!)).

**لكن يا ترى مَن هُم الراسخون في العلم الذين يقصدهم هؤلاءُ المخذِّلون؟** إذا علمنا أنّ هذه المقاومة ليست وليدة اليوم، بل كانت في أوجِ ضعفها في الثمانينات والتسعينات الميلاديّة، حتى بدايات الألفيّة الثانية، ومع ذلك كانت الهيئات العُلَمائية الإسلامية تفتيهم بالجهاد، وتشدّ على أيديهم، وتحثّ على نصرتهم، وقد كانت انتفاضتهم آنذاك تسمى: (ثورة الحجارة!).

خُذ مثالًا على ذلك: قرار المجمع الفقهي الإسلامي لرابطة العالَم الإسلامي بمكّة المكرّمة، في دورته العاشرة، بتاريخ: (١٧/ ١٠/ ١٩٨٧م)، الذي فيه **النصّ على وجوب دعم الجهاد الفلسطيني بكل وسائل الدعم الممكنة، ودعم انتفاضة الشعب الفلسطيني، والحث على مواصلة الجهاد، والمطالبة بالثبات عليه.** وقد صدر هذا القرار بالإجماع، وكان موقَّعًا من رئيس المجمع: عبد العزيز بن باز، ونائبه: عبد الله عمر نصيف، وأعضائه: بكر أبو زيد، ومحمد بن جبير، وعبد الله البسام، وصالح الفوزان، ومحمد السبيّل، ومصطفى الزرقاء، ومحمد محمود الصواف، وأبي الحسن الندوي، ومحمد رشيد قباني، ومحمد النيفر، وأبو بكر غومي، وأحمد فهمي أبو سنّة، ومحمد الحبيب بن الخوجة، ومحمد سالم بن عدود، ومقرّره: طلال عمر بافقيه.

واختياري هذا النموذج لأنّه يتميّز بعناصر قد لا توجد في غيره، أهمّها: أنّ الموقّعين عليه متنوّعو المذاهب والانتماءات الفكرية، ومتنوّعو البلدان الجغرافية، ففيهم الأزهري والزيتوني والشنقيطي والعراقي والشامي والهندي والأفريقي، إضافة إلى علماء نجد والحجاز، وهذا يؤكّد أنّ **إجماع أمثال هؤلاء على مثل هذه القضية هو إجماع على أمر ثابت من ثوابت الدين الحنيف.**

وحُقّ لنا أن **نَسأل** في ظِلّ استطالة أعناق بعض المتشدّقين المنادين بإيقاف قتال المحتلّين والركوع لليهود الغاصبين بحجّة حفظ دماء المسلمين، مع ما شاهدوه من تطوّر قدرة المقاومة مادّيًّا وتنظيميًّا وسياسيًّا وعسكريًّا ومخابراتيًّا وصناعيًّا وإلكترونيًّا؛ **فنقول**: هل كان العلماء في هذه الفتوى يفقهون الواقع؟ وهل خالفوا أصول الشريعة في هذه النوازل؟ بل هل هُم عِندكم مِن الراسخين المعتبَرين؟ وهل بفتواهم هذه غرّروا بالشعب الفلسطيني؟ وهل استهانوا بدماء المسلمين؟ وهل ستقولون بأنّ الخسائر والويلات كانت بسببهم؟

**وبعدَ أن يجيبوا عن هذه الأسئلة العقلية سيتبيّن مَن هو المخالف للثوابت الشرعية.**

ومن المؤسف أن نرى الأستاذ الدكتور سلمان الداية -عميد كلية

الشريعة والقانون في الجامعة الإسلامية بغزة سابقًا- يستدل بالحديث الذي رواه الترمذي بإسناد صحيح: "**لا ينبغي للمؤمن أنْ يذل نفسه**" **فقال الصحابة: وكيف يذل نفسه؟ قال:** "**يتعرّض مِن البلاء لِمَا لا يطيق**". يذكر ذلك في إطار زجر المقاومة عن التسبب بهذا البلاء الذي لم يعد يطيقه أهل غزة -كان الله في عونهم-، مستنكرًا وصف خالد مشعل لهذه الخسائر بأنها "خسائر تكتيكية"!

والقضية -كما ذكرنا آنفًا- لا تتعلّق بالاستهانة بالدماء والدمار وما يحصل من إبادة شاملة! إنما تتعلق بالمقارنة بين ما خسره هذا العدو المجرم وبين ما خسره الفلسطينيون في مقابل صمودهم ومقاومتهم المحتل. وهذا الواقع فيه نوع شبه بينه وبين قصة أصحاب الأخدود، الذين أبادوا المسلمين إبادة شاملة، بأبشع الطرق، ولكن النصر الحقيق كان لهؤلاء المسلمين الذين خلّد الله ذِكْر ثباتهم، ولم يكونوا ممن ذَلّ نفسه بالتعرّض للبلاء! والدكتور الداية يرفض الاستشهاد بقصة أصحاب الأخدود! لأنّها برأيه مِن شَرْع مَن قَبْلنا وليست من شرعنا، ولأنّها لا تناسب هذه النازلة! وكأنّه لم يمرّ عليه حديث خبّاب بن الأرتّ -الذي سيأتي ذِكره قريبًا- ولم يرَ كيف استشهد رسولُ الله بقصةٍ مِن مِثل قصةِ أصحاب الأخدود!!

**بينما استدلال الدكتور الداية بحديث (الذلّ) أحرى بأن يقال فيه: ليس هذا محلّه؛ لأنّ الواجب أنْ نستدلّ بنصوص شرعية تناسب هذا الواقع، فيها تثبيت للناس وعزاء.**

من ذلك قوله تعالى: {**فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**}. ومن ذلك الحديث الذي رواه الترمذي بإسنادٍ حسن: "**إِنَّ عِظَمَ الْجزاءِ مَعَ عِظَمِ الْبلاءِ، وإِنَّ اللّٰهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قومًا ابتلاهُمْ، فَمنْ رضِيَ فلَهُ الرِّضَا، ومَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ**". ومن ذلك الحديث المشهور: "**صبرًا آل ياسر**"، ومن ذلك أيضًا ما رواه البخاري في صحيحه عن خَبَّابِ بْن الأَرتّ رضي الله عنه، قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَهُو مُتَوسِّدٌ بُردةً لَهُ فِي ظلِّ الْكَعْبةِ، فَقُلْنَا: **أَلا تَسْتَنْصرُ لَنَا أَلا تَدْعُو لَنَا**؟ فَقَالَ: "قَد كَانَ مَنْ قَبْلكُمْ يؤْخَذُ الرَّجُلُ فيُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ فيُجْعلُ فِيهَا، ثمَّ يُؤْتِى بالْمِنْشارِ فَيُوضَعُ علَى رَأْسِهِ فيُجعلُ نصْفَيْن، ويُمْشطُ بِأَمْشاطِ الحديدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعظْمِهِ، **مَا يَصُدُّهُ ذلكَ عَنْ دِينِهِ**، واللَّهِ لَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هَذا الأَمْر حتَّى يسِير الرَّاكِبُ مِنْ صنْعاءَ إِلَى حَضْرمْوتَ لاَ يخافُ إِلاَّ اللّٰهَ والذِّئْبَ عَلَى غنَمِهِ، ولكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ".

وفي هذا الحديث أمور مهمّة، منها: أنّ الصحابة المستضعفين في مكة في أوائل البعثة كانوا يذوقون أصناف العذاب الذي لم يعودوا

يطيقونه، فلجؤوا إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام طالبين منه أن يدعو الله لهم ويطلب منه النصرة والمنعة، فأجابهم بموعظة تثبّتهم، ضرب لهم فيها مثلًا بالأمم السابقة التي كانت تبتلى بأشد أنواع البلاء الذي لا يطيقه إلا مَن امتلأ قلبه بالإيمان فتهون عنده كل المصائب، لِمَا يكون بسببه من حفظ الدين وأهله، ولما يناله من عظيم الأجر على ثباته وصبره.

ولم يكن جواب رسول الله لأصحابه جواب تعنيف، إنما جواب تذكير وتثبيت وتعزية، ولذلك انصرف عن جواب سؤالهم الدعاءَ لهم، لأنّه كان يدعو لهم، ولم ينقطع عن ذلك، **إنما أجابهم عمّا استشفّه من سؤالهم، حيث رأى فيهم نوعًا من الجزع، ونقصًا في الصبر**؛ وكذلك حال بعض إخواننا وأهلنا في غزة الأبيّة، فعلينا تذكيرهم بأنهم حصن هذه الأمّة، وأنّهم منبع صحوتها، وأنّهم في بلائهم هذا سائرون على طريق الأنبياء، فـ"**أشدّ الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل**"؛ **ونذكّرهم أنّ ثباتهم جهاد، وموتهم استشهاد، وبلاءهم محبّة من ربّ العباد، ومُصابهم رفعة في الدرجات يوم المعاد.**

ومن هذا الباب كان قول القائد يحيى السنوار -رحمه الله تعالى-: ((نحن في حماس ومعنا الشعب الفلسطيني جاهزون لأن نَفنى جميعًا ولا

أن نقبل الصفقة، وجاهزون لأن نُقتل عن بكرة أبينا، حتى آخر طفل فينا، وأن نُحرَقَ نساءً وأطفالًا كما حُرق أصحاب الأخدود ولا أن نتنازل عن **ثابت واحد من ثوابتنا**)). إنّه -إذن- يتكلّم عن الفناء مقابل عدم التنازل عن الثوابت، وهي ضمن كلمة له (قديمة) قيلت في حفل جماهيري قبل معركة طوفان الأقصى. **فكيف جاز للدكتور سلمان الداية أن يجتزئ من هذا النص عبارةً يتيمةً لِيَزعم أنّ مُراد السنوار منها الحربَ الجارية**؟! ولماذا يشنّ هجومه في هذا التوقيت على (أصحابه) قادة المقاومة؟! وما الفائدة الشرعية المرجوّة من كتاباته هذه سوى خذلان المقاومة، وزعزعة إيمان الناس بالقضية، والانبطاح للعدوّ وتمكينه، وإضعاف الصبر والرجاء في قلوب المؤمنين المستضعفين؟!

**المطلب الخامس (نقض الاتهام الخامس):**

**اتّهَم المدّعي القائمين على المقاومة بأنّ ثقافتَهم (الحزبية) هي الّتي أنتجَت هذه المَواقف المُخزية وهذه الأنانية السياسية!**

وقد سبق بيانُ أنّ المقاومة ليست صاحبة (مواقف مخزية)، وإنّما تقوم بعملها وتنشغل بما يعنيها، كما سبق بيان أنّ اتّهامهم بـ(الأنانية) مخالِف للثوابت الشرعية.

أمّا ما يتعلّق بـ(ثقافتهم الحزبية)، فهُمْ بالفعل حزب تنظيمي، ولكن الإشكال هو أن تُذكر هذه الحزبية على سبيل الذمّ **مطلقًا**، وهذا خلاف الحقّ، لأنّ تحزّبهم في ظروفهم تلك تحزّبٌ مشروع (من حيث الأصل)، وقد أفتاهم بذلك عدد من أهل العلم المُعتبَرين.

ولعلّ هذا المدّعي لم يقرأ كلام ابن تيمية في: مجموع الفتاوى (١١/٩٢) حيث قال: ((وأما رأس الحزب فإنه رأس الطائفة التي تتحزّب، أي تصير حزبًا، فإنْ كانوا مجتمعين على ما أمرَ الله به ورسولُه من غير زيادة أو نقصان فهم مؤمنون، ولهم ما لهم وعليهم ما عليهم، وإن كانوا قد زادوا في ذلك ونقصوا، مثل: التعصب لمن دخل في حزبهم بالحق والباطل، والإعراض عمن لم يدخل في حزبهم سواء كان على الحق أو الباطل، فهذا من التفرُّق الذي ذمَّه الله تعالى ورسولُه، فإنّ الله ورسوله صلى الله عليه

وسلم أمَرا بالجماعة والائتلاف ونهَيا عن الفرقة والاختلاف، وأمَرا بالتعاون على البر والتقوى، ونهَيا عن التعاون على الإثم والعدوان)).

ومِن الشيوخِ المعاصرين الذين يعظّمهم هذا المدّعي وزُمرته: الشيخ محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله-؛ فقد أُثِر عنه إفتاء هذه الجماعات بجواز التحزّب على هذا النحو، وله كلام في "شرح عقيدة أهل السنة"، في الشريط العاشر، قال فيه: ((لكن لو كان هناك أحزاب كافرة ملحدة -سواء كانت تتسمّى بالإسلام أو لا- لا بدّ مِن أنْ نقيم حزبًا مضادًا لها من باب معالجة الشيء بضدّه، أمّا إذا لم يكن هناك أحزاب، فلا يجوز أنْ نتحزّب)).

وللدكتور مصطفى بن إسماعيل السليماني كلامٌ مهمّ في كتابه: الإسلاميون والعمل السياسي (ص٩٠)، حيث قال: ((الأحزاب التي ذمّها الله تعالى بقوله: {كل حزب بما لديهم فرحون} هي الأحزاب التي أسّست برامجها على حرب الدين وأهله، أو إضعاف الدين وهيبته في نفوس المسلمين، أو إهمال أمر الدين والاهتمام بغيره، أو حصر الدين في مسائل الاعتقاد بين العبد وربه دون أي ترجمة عمَلية لذلك، وحصر العبادة بالصلوات في المساجد، وأما بقية شؤون حياتهم، فيتبعون فيها كلًا من: كُسير وعُوير وثالث ما فيه خير، وإنْ كان بعض أهل هذه المقالات يجهل

ذلك، أو يتأوّل فيخطئ لأنه ليس أهلًا للتأويل، أو يقلّد من ليس أهلًا لتقليده، أو ينظر إلى الدين من خلال تصرّف خاطئ من بعض دعاته! **أمّا مَن تحزَّب لِنُصرة الإسلام والدِّفاع عنه فليس داخلًا فيمَن ذمهم الله بالتفرق والتحزب، وإلا سوَّينا بين جند الله وأوليائه، وجنود الشيطان وأوليائهم!))**.

فهذه هي الثقافة الحزبية الشرعية التي يجب أن تتمتّع بها المقاومة، **والّتي يجب أن يكون الناقد لها بريئًا مما يخالِفها.**

وقد ثبَت أنّ حركة المقاومة الإسلامية في فلسطين هي حركة حزبية لا توالي وتعادي لأجل الحزب، بل إنّ ثقافتها قائمة على الكتاب الكريم والسنّة النبويّة، هذا من حيث أصل منهجها، أمّا ما قد يصدر عن بعض منتسبيها من تعصّب وغلو فهذا من صنيع الأفراد، **وهو وارد الحدوث في جميع الأحزاب والطوائف والجماعات**، بل قد يكون صنيع هؤلاء الأفراد من باب ردود الأفعال على ما يرونه من نقدٍ شديد وتخذيلٍ مزيد من بعض الطوائف الخصوم.

ومعلوم أنّ قادة حركة المقاومة الإسلامية ومؤسِّسيها كانت انتماءاتُ كثيرٍ منهم إلى جماعة الإخوان المسلمين، ولكن لا يعني ذلك أن الحركة تعمل تحت ظل هذه الجماعة أو أنها تابعة لها نظامًا وانقيادًا،

بل هي تنظيم مستقل بنفسه يهدف إلى مقاومة المحتل الصهيوني، وتحرير الأراضي المغتصبة، والانتصار للدين والمسلمين، ولذلك نراهم يبذلون أرواحهم رخيصةً في هذا السبيل لا فرق بين قاداتهم ولا بين أصغر جندي فيهم، بل إنّ عددًا من المجاهدين -قادةً أو جنودًا- وعددًا من الدعاة في هذه الحركة نجدهم غير منتمين إلى جماعة الإخوان ولا يرتضون منهجهم ولا رؤيتهم. ولعل من المناسب هنا ذِكر أحد هؤلاء، **وهو من العلماء الأعلام، بل هو محدِّث فلسطين بلا نِزاع**: **الأستاذ الدكتور نزار ريان العسقلاني**، أحد قادة كتائب القسام، الذي اغتيل على يد المحتل بقصف بيته فمات مع خمسة عشر فردًا من أفراد أسرته -رحمهم الله وتقبّلَهم-، له وصية مشهورة، قال في بعض بنودها: ((أوصي أسرتي وعائلتي وأزواجي الكريمات وأولادي وبناتي بتقوى الله، وبالعمل بكل ما يأمر به ديننا العظيم، وبطلب العلم الشرعي **كتابًا وسنةً**، وأن يلتزموا **العقيدة السلفية** كالطحاوية بشرح ابن أبي العز الحنفي، **وأن يبقوا مع الإسلاميين الجهاديين ما بقوا على الدين محافظين**، وأن يتجاوزوا عمّا تجاوز الله عنه للناس. وأوصي أولادي وبناتي بالزواج المبكر وكثرة النسل وتعدُّد الزوجات الصالحات؛ فإن نبينا -صلى الله عليه وسلم- مباهٍ بكم الأمم يوم القيامة، وإنّ بلادنا بحاجة إلى العدد

الكثير للتحرير والتتبير. **كما أوصي ذريّتي بالجهاد في سبيل الله تعالى وإنْ تخلّى الناس -كلّ الناس- عن الجهاد والمجاهدين**. وأوصي أسرتي أن يكونوا بيتًا واحدًا، وأن لا يُشمِتوا بنا زنادقة العلمانية وجهلة الناس، فكونوا شامة في الناس في دينكم وخُلقكم وسائر أمركم)).

وإننا بهذا التعريف والتنبيه نقصد إلى بيان أنّ حركة حماس ليست حركة مثالية من كل الجوانب، بل لا توجد حركة أو طائفة تبلغ الكمال، **إنما تَقترب الطوائف وتَبتعد عن الحقّ بحسب اتّباعها المنهجَ الإسلامي الصحيح علمًا وعملًا**. إذَن هذه الحركة هي كجميع طوائف المسلمين عندهم من الأخطاء والإخفاقات ما عندهم، **لكنّهم في الجملة أهل صَلاح، ويكفي أنهم على أهمّ ثغر من ثغور الأمّة**، فتجب نصرتهم (شرعًا) بكل ما هو ممكن، ويجب النصح لهم، وتسديدهم، بالحكمة والموعظة الحسنة والجدل العلمي النزيه، **وما عدا ذلك فهو خذلان لأهمّ فئة مسلمة من فئات الطائفة المنصورة**.

وهذا يذكّرنا بمَن تكلّم عنهم ابن تيمية في زمانه، إذْ قال: ((أما الطائفة بالشام ومصر ونَحـوهما -يقصد المماليك وجيوشهم- فهُم في هذا الوقت: المقاتِلون عن دين الإسلام، وهم مِن أحقّ الناس دخولًا في الطائفة المنصورة التي ذكرَها النبي بقوله في الأحاديث الصحيحة

المستفيضة عنه... وهذه الطائفة هي الّتي بأكناف بيت المقدس اليوم))، ثم قال: ((هذه العصابة التي بالشام ومصر في هذا الوقت هم كتيبة الإسلام، وعزهم عز الإسلام، وذلهم ذل الإسلام؛ فلو استولى عليهم التتار لم يبقَ للإسلام عزٌّ ولا كلمة عالية، ولا طائفة ظاهرة عالية يخافها أهل الأرض تُقاتِل عنه)) [مجموع الفتاوى: ٢٨/ ٥٣١-٥٣٥].

قلتُ: إنّ من المعلوم أنّ سُلطة المماليك وقع منهم من الظلم للناس ما وقع، وعندهم من الأخطاء ما عندهم، ويتبنّون العقائد الأشعرية التي يحاربها ابن تيمية، ويتبنّون التصوّف الذي يُنكر ابن تيمية ما فيه من غلو وبدع، ولكنهم مع ذلك في نظره هُم من أحقّ الناس دخولًا في الطائفة المنصورة في زمنه، يقول ذلك وهو الذي تعرَّض للسجن على أيديهم مرارًا، **ولكن العدل و(الثوابت الشرعية) لم تجعله يغير رأيه، لأنه صاحب اتّباع لمنهج السلف لا صاحب هوى، ولأنه صاحب فقه بحقّ، ليس فارغًا منه ولا متطفّلًا على موائد أهله.**

بينما نجد المدّعي صاحب تناقضٍ واضطراب، لأنه يَنطلقُ إمّا عن جهلٍ أو عن هوى -والله أعلم بما في نفسه-، ومن ذلك أنّك تراه يثني ثناءً عطرًا على رأس من رؤوس الحركات الإسلامية الّتي يتّهمها في سياقٍ آخَر بالأنانية وتضييع الثوابت، فها هو يقول عن رأس الإخوان المسلمين

في اليمن: ((رحم الله الشيخ الزنداني وغفر له. **لا أعلم أحدًا ممن عاصرَ عقد الثمانينيات والتسعينيات إلّا وللزنداني أثَر فيه.** كنتُ في بداية الالتزام لا تفارقني محاضراته المرئية في الإيمان والإعجاز العلمي، والاعتزاز بالإسلام. عرفْناه في وقت لم يكن يهمّنا فيه إلّا دعوة تُرشد إلى خير، وصحوة تنبّهنا من غفلة، لا سياسة ولا حزبية، ولا تصنيف! أمّا اليوم وقد تشتّت بنا الآراء وفرّقتنا الأهواء، فنسأل الله الثبات على النقاء والصفاء والصدق والإخلاص، ونعوذ به من تفرُّق نحسبه فرقانًا، وتشرذُم نحسبه تمحيصًا)).

فهو هنا يتوق إلى العودة إلى النقاء الذي ينأى به عن التفرّق والتشرذم والتصنيف! **بينما نراه في اشتداد الأزمة يلجأ إلى التصنيف والتفرقة والنّفَس الطائفيّ النتن!**

ونجده يقرّ بأثر الزنداني على ثقافته، ولكنّه يعيب على غيره الثقافة الحزبية! ويزعم أنه (لا يعلم أحدًا ممن عاصر تلك الحقبة التي عاصرَها إلّا وللزنداني أثر فيهم) وهذا الزعم إنْ كان فيه صادقًا فيدل على أنّ عِلمَه بالأشخاص محدودٌ جدًّا، يقتصر على فئة متأثّرة ببعض رموز الحركات الإسلامية كالزنداني وغيره. وأمّا إنْ كان في زعمه هذا كاذبًا فنسأل الله أن يفضحه عاجلًا كي لا يخدع المزيد من المسلمين. وقد واللهِ

عاصرْنا الحقبة الّتي عاصرَها ونشأنا في بيئة إسلامية خالصة، **ولم يكن للشيخ الزنداني -رحمه الله- مِن أثرٍ علينا، ولا على كثيرٍ ممّن عرفْنا،** بل كنّا ننعم بدارسة كتب التراث على أيدي المتخصصين، والنهل من المنبع العذب -ولله الحمد-.

والآن عرفنا مَن يكون صاحب **الثقافة الحزبية المذمومة**، الذي قد يتحوّل انتماؤه من جهة إلى أخرى، لكننا نراه لا يسلك إلا طريق الحزبية المذمومة، ولهذا نجد أحد كبار شيوخهم مِمّن عُرف بالاعتدال والنزاهة -وهو الشيخ ابن عثيمين-، يتكلّم متنبِّهًا ومُنبِّهًا إلى انحراف هذا التيّار، فيقول: ((ظهرَ أخيرًا إخوانيّون وسلفيّون وتبليغيّون وما أشبهَ ذلك، فكلّ هذه الفرق اجعلها على اليسار، وعليك بالأمـام، وهو ما أرشدَ إليه النبي -صلى الله عليه وسلم- في قوله: "عَلَيكُم بِسُنَّتي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَاشِدينَ". ولا شكّ أنّ الواجب أنْ تكون الأمة الإسلامية مذهبها مذهب السلف الصالح، لا التحزُّب إلى مَا يسمى "السلفيون"، فهناك طريق السلف، وهناك حزب "السلفيون"... مشكلتهم كغيرهم أن بعض هذه الفرق يضلّل بعضًا، ويبدّعه ويفسّقه، ونحن لا نُنكِر هذا إذا كانوا مستحقّين، **لكنّنا نُنكِر معالجة هذه البدع بهذه الطريقة**، والواجب أن يجتمعَ رؤساءُ هذه الفرق، ويقولوا: بيننا كتاب الله عزّ وجل وسنة رسوله،

فلنتحاكم إليهما، **لا إلى الأهواء والآراء، ولا إلى فلان أو فلان**، فكلٌّ يخطئ ويصيب مهما بلغ من العلم والعبادة، ولكن العصمة في دين الإسلام)) [شرح الأربعين النووية: (ص٢٨٢)].

إنّ الشيخَ هنا يرصد خطأ طريقتهم في المعالَجة في الأحوال العادية وفي ظروف الرخاء، فكيف لو أدركَ الشيخُ ما يفعله حزبهم اليوم من التصنيف والتضليل لأهل الإسلام، والتهجّم -بحق أو بباطل- على بعض الحركات الإسلامية، فيمارسون **تحزّبهم الجاهلي** في مثل هذه الأحوال العصيبة التي يواجِه المسلمون فيها عدوًّا مشترَكًا، عدوًّا غاشمًا عاتيًا دمويًّا لا يفرِّق بين حركة وأخرى، ولا بين مسالِم ومحارِب، **ولا بين مطبِّع وغير مطبِّع**، لأنه سيدوس الجميع بقدمه، وما المطبِّعون وأذنابهم والمدافعون عنهم إلا عَبيد سيستعملهم ثُمّ يأتي اليوم الذي تحترق فيه أوراقهم عنده، فيستغني عنهم، ويزّجّهم في أقرب زبالة أو محرقة.

# المبحث الثاني
# (الشبهات وردّها)

## الفصل الأول (الموقف من التحالفات السياسية)

لقد عاب المدّعي على المقاومة بأنّها حليفة حكومة إيران، وقد أوضحنا جواز ذلك شرعًا في (نقض الاتهام الثالث).

ولا أدري ما لنا وللتدخّل في ذلك؟ إذْ لا يصحّ لنا الإملاء على المقاومة، فلسنا معهم في ساحات القتال، ولا نعرف ما الذي يصلح والذي لا يصلح، وهُم لهم قادتهم المختصون في السياسة الشرعية، والمختصون في القانون الدولي، والمختصون في الأمور العسكرية، وغير ذلك، فضلًا عن علمائهم في الفقه والشريعة؛ فهم أدرى بحالهم، ولهم اجتهادهم، وما علينا إلا النصرة بما نستطيع، أو مناصحتهم بالحكمة والحُسنى إنْ تيَقَّنَّا وقوعَهم في الخطَأ.

أمّا حكومة إيران ففيها من الشرِّ كما في كثير من حكومات الدول العربية والإسلامية، فلِمَ المنع من محالفتها في حين لا نظنّ أنّ هناك مَن سيمنع محالفة أمثال تركيا والسعودية ومصر والجزائر والمَغرب والأردن والإمارات؟

وقد ذَكرتُ هذه الدول لأنّها قادرة على إسناد الدول الأخرى ودعمها، ولها قوّات عسكرية أو أجندات سياسية تابعة لها خارج بلادها بصورة معلَنة، فها هي تركيا على أراضي سوريا والعراق، وكذلك السعودية على أراضي اليمن وليبيا، وكذلك الإمارات على أراضي اليمن والسودان، وكذلك مصر تتباحث بشأن إرسال قوات إلى الصومال، وكذلك الجزائر في سوريا، وكذلك المغرب والأردن التي يشارك جنُودُها في التحالفات الدولية أو تحت مظلة (قوات حفظ السلام).

**والسياسة اليوم بلغت الذروة في التعقيد، بل الذروة في قذارة الأساليب والصفقات، فلا يمكن للمتطفّلين أمثال هذا الكاتب المدّعي أن يملي على المقاومة ما تفعل وما لا تفعل، أو يملي عليها معرفة ما هو شرُّ الشرَّين.**

وأمْر التحالف مع حكومة إيران أو توطيد علاقات معها هو أمرٌ **تابع للمصالح السياسية**، فها هي الحكومة السعودية ممثّلة بملكها آنذاك خالد بن عبد العزيز آل سعود، أرسَل برقية تهنئة للخميني بنجاح ثورته على الشاه، فقال ما نصّه: ((فإنه ليسرني بمناسبة إعلان قيام الجمهورية الإسلامية في إيران أن أعرب لسماحتكم عن صادق تهنئتي القلبية. ولا شك بأنه كان لهذا الإعلان أحسن الأصداء في المملكة العربية

السعودية **التي تلتزم بالشريعة الإسلامية عقيدةً ومنهجًا وتطبيقًا**، وأنه لمن دواعي السرور والغبطة حقًّا أن تقوم هذه الجمهورية الناشئة على الدعائم **الإسلامية الوطيدة**، وأن يكون في قيامها **خير تعضيد للدين الإسلامي** الحنيف، وللشعوب الإسلامية التي تتطلع إلى ما فيه خيرها وعزها وكرامتها، وأرجو أن يجعلكم الله **في مقدمة العاملين على نصرة الإسلام والمسلمين في كل مكان**، كما أتمنى للشعب الإيراني الشقيق **في ظل الشريعة الإسلامية** كلَّ تقدُّم ورشاد واستقرار)).

لم يقف الأمر عند هذا الحد السياسي -**وإن كان مضمونه دينيًّا**-، فقد قامت الحكومة السعودية بإرسال وفد (دينيّ) ليبارك للخميني ثورته (الإسلامية) على حكومة الشاه، **ولنتأمّل مَن الذي كان يرأس هذا الوفد السعودي؟** إنّه عضو هيئة كبار العلماء وعضو المجمع الفقهي الإسلامي والرئيس العام لشؤون الحرمين الشريفين ورئيس لجنة إعلام الحرم وإمام وخطيب الحرم المكي لأربعة وأربعين عامًا، إنه الشيخ محمد بن عبد الله السبيّل.

وقد أذيع خبر هذا الوفد في حينها (سنة ١٩٧٩م) ونُشرت كلمة الخميني في تلك المناسبة، ولم نسمع منذ ذلك الحين حتى الساعة مَن يرى في صنيعهم هذا مع إيران تضييعًا للثوابت!

وكلمة الخميني كانت ذات محاور متعدّدة، نقتبس منها ما يتصل بسياق هذا الرد، وهو كلامه عن القضية الفلسطينية والعدو الصهيوني المحتل، إذْ قال: ((ومما يؤسَف له، أنّ الاختلافات الّتي تلاحَظ في بعض المناطق -لا سيّما المناطق العربية- هي التي مكّنت إسرائيل بعدد نفوسها القليل من الوقوف بوجه العرب رغم كثرة عددهم وثرواتهم. وإذا لم يتم التصدي لجرثومة الفساد هذه فإنها ستطمع بكل المنطقة، فهي لا تقنع بفلسطين والمسجد الأقصى فقط، وإنما تريد السيطرة على الجميع. يجب على المسلمين وعلى الحكومات الإسلامية، أن يتّحدوا ويقتلعوا جرثومة الفساد هذه من جذورها. ولا يفسحوا المجال للذين يدعمونها بمواصلة دعمهم لها. أسأل الله تبارك وتعالى القوةَ والعظمةَ للإسلام والمسلمين وتوحيدَ كلمتهم)).

وهذه كلمة حقّ -كائنًا مَن كان قائلها-، والظنّ بالمقاومة أنّها لو وجَدت مِن الحكومات الإسلامية مَن يتبنّى هذا الطرح ويقْدر على الدعم لحالفوه كما حالفوا حكومة إيران، وليت الحكومة السعودية الحالية تحمل من النصرة والولاء لهذه القضية مثل ما كان يحمله مليكها الأسبق: فيصل بن عبد العزيز آل سعود -رحمه الله-.

هذا ما كانت عليه علاقات حكومتَي السعودية وإيران بالأمس، أما

اليوم فهي في طور أكبر، فها هي الحكومة السعودية تتباحث مع إيران سبل تعزيز التعاون العسكري والأمني في ظل التوتر الذي تعيشه منطقة الشرق الأوسط بعد مرور عام على انطلاق معركة طوفان الأقصى. فقد أجرى وفد عسكري سعودي زيارةً إلى إيران، وذلك بقيادة رئيس هيئة الأركان العامة للقوات المسلحة السعودية الفريق الأول الركن فيّاض الرويلي، الذي الْتقى رئيس هيئة الأركان العامة للقوات المسلحة الإيرانية اللواء محمد باقري، لبحث العلاقات الثنائية والعلاقات الدفاعية. ووصفت وسائل الإعلام الإيرانية هذه الزيارة بـ"النادرة".

وفي سياق الكلام عن العلاقات السنّية الشيعية، أو السعودية الإيرانية، يمكن أن نذكر أمثلة عديدة، لكن المقام لا يتّسع لها كلها، فمنها -مثلًا-: تعزية القيادات السعودية للحكومة الإيرانية والشعب الإيراني بوفاة الرئيس إبراهيم رئيسي وعدد من علماء الشيعة إثر تحطّم طائرةٍ -هذا العام-، فقال الملك السعودي: (علمنا بنبأ وفاة فخامة الرئيس الدكتور إبراهيم رئيسي، رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ومرافقيه -رحمهم الله- وإننا إذ نبعث لكم ولشعب الجمهورية الإسلامية الإيرانية الشقيق بالغ التعازي، وصادق المواساة، لنسأل الله سبحانه وتعالى أن يتغمدهم بواسع رحمته ومغفرته، ويسكنهم فسيح

جناته، إنا لله وإنا إليه راجعون). وقال ولي عهده: (تلقينا نبأ وفاة فخامة الرئيس الدكتور إبراهيم رئيسي رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ومرافقيه -رحمهم الله- ونبعث لدولتكم أحر التعازي، وأصدق المواساة، سائلين المولى العلي القدير أن يتغمدهم بواسع رحمته ومغفرته، ويسكنهم فسيح جناته، إنه سميع مجيب).

وحين يسمع الكاتب المدّعي هذه الكلمات لا ينتفض ويقول: أين هي الثوابت! **وكيف تَرجون لأعداء الله ورسوله والمؤمنين دخول الجنة والشمول بالرحمة -على حدّ تعبيره!-؟!** بل نرى هذا المدّعي قد انقلبت عنده الثوابت إلى متغيّرات لأنّ ذلك صادر عن طائفته!!

ولكن قد يقول قائل منهم: إنّما صدرَت هذه المواقف من أصحاب سياسة وليست من علماء دين أو من حركة تدّعي تمثيل الإسلام. فنقول له: إنْ كانوا كذلك فلماذا تنعتون دولتهم بدولة التوحيد والسنة؟!

ولكن لا بأس، سنأتيكم بمثال آخَر من علماء الدين، فها هو الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ وزير الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد في السعودية -حاليًا-، وأمين عام هيئة كبار العلماء، ورئيس عام هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر -سابقًا-، يقوم بزيارة علماء الشيعة الإسماعيلية في السعودية، ويخاطبهم بعبارات الثناء والمودة،

ويختم قوله لهم: "أنتم من أهل الجنة إن شاء الله". مع أنّه لا يجد حرجًا في أن يقول -في سياق آخر في حسابه على (تويتر)-: "أقسم بالله العظيم أنه لا يوجد على وجه الأرض أحمق وأشر ممن يحمل فكر الإخوان المسلمين"، هكذا يعمّم ويقسم بالله كذبًا وزورًا!!

إنّ كُلّ هذه المواقف تثبت تعاون السعودية وتعاضدها مع الشيعة على جميع المستويات، وبِمُباشرة من (الساسة) و(العسكر) و(علماء الدين)، وعند ذلك نأتي إلى ما قاله الدكتور صالح بن عبد الله العصيمي (عضو هيئة كبار علماء السعودية سابقًا) في تغريدة له على (تويتر) بأنّ **((الاعتضاد بالمضلِّين في مُراغمة الباطل وأهلِه: صفقةٌ خاسرةٌ؛ فالنَّجاسةُ لا تُزيل النَّجاسةَ))**، ونسأله: هل كنتَ تقصد حكومةَ بلدِك وعلماءَك حين قلتَ ذلك؟ أم أنّ كلامك هذا خاصّ بحركة حماس -كما يفيده السياق-؟! وهل الاعتضاد بأمريكا في حرب الخليج هو من إزالة النجاسة بينبوع الطهر والنقاء!! أو أنّ الاعتضاد بأمريكا في أفغانستان ضد الروس لا يدخل في قاعدة "النجاسة لا تزيل النجاسة"؟!

عجبًا لهؤلاء الأعلام الذين يتصدّرون لدعوة الناس إلى دين الحق كيف ينزعون عنهم ساتر الحياء فيسقطون هذه السقطات المخزية!

أمّا نحن -وكل ذي بصيرة- فإننا لا نرى في هذا الاعتضاد والتعاون

والتحالف بأسًا من حيث الحكم الشرعي -**كما سبق بيانه في نقض الاتّهام الأول**-، وسواء أكان ذلك صادرًا عن الحركة الإسلامية (حكومة غزة)، أمْ عن علماء السعودية وحكّامهم، **بشرط** أن لا يكون ذلك **كذبًا** سياسيًا، **وتناقضًا** بحسب موجة المصالح السياسية -وهو شرط يمكن التأكّد منه بتتبّع مَواقف كلٍّ منهم-. ذلك أنّ التعاون بين الفِرق الإسلامية أمرٌ لا تمنع منه الفطرة التي هي الدين، بل تحضّ عليه، **وليس في ذلك أيّ دعوة إلى التنازل عن الثوابت عند أيّ طائفة من الطوائف.** فهذا حكم التحالفات في الشريعة الإسلامية، ولذلك قال الجصّاص في كتابه: أحكام القرآن (٤١٦/٢) ما نصّه: ((قيل إنّ الحلف كان على منع المظلوم، وعلى التأسي في المعاش، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه حضر هذا الحلف قبل النبوة وأنه **لو دعي إلى مثله في الإسلام لأجاب؛** لأن الله تعالى قد أمر المؤمنين بذلك، وهو شيء **مستحسن في العقول،** بل واجب فيها قبل ورود الشرع؛ فعلمنا أن قوله: "لا حلف في الإسلام" إنما أراد به الذي لا تجوّزه العقول ولا تبيحه الشريعة)).

وكذلك التعايش بين هذه الطوائف هو أمر فِطريّ، بل إنّ مَن يسعى إلى إثارة النعرات الطائفية لا سيّما في وقت الأزمات فإنّه **صاحب فتنة، يجب الحذر منه، والتحذير من فتنته.**

كما أنّ الترحُّم على أهل القبلة من جميع الطوائف هو أمر مشروع، لا يمنع منه إلا طائفيّ متعصّب، ولا يظنُّه مخالفًا للثوابت إلّا جاهل بالثوابت متطفّل على الفقه وأهله.

وفي السياق نفسه -**مِن وَجهٍ آخَر**- ها هم أتباع التيار الذي ينتمي إليه هذا الكاتب المدّعي ما زلنا نرى فيهم مَن يقول **بجواز الاستعانة بـ(أمريكا) والتحالف معها**(!!)، وحتى مَن لا يرى منهم جوازَ ذلك فإنّه يجعل الأمر اجتهاديًا، ويجعل الخلافَ فيه سائغًا، وسببُ ذلك أنّ علماءهم اختلفوا فيه! بينما لو صدر هذا الموقف من غير تيّارهم لَرُبّما اتّهموهم بالكفر وليس بـ"تضييع الثوابت" فسحب!

وإذا كنّا قد رأينا الكاتب المدّعي استاءَ مِن خِطابَي أبي عبيدة وخالد مشعل لأنّ فيهما تضييعًا للثوابت -من وجهة نظره- فاشتدّ في النكير على حركة المقاومة كلّها في هذه الظروف العصيبة، ولم يمهلهم إلى حين ميسرة، فإنّنا لم نجد منه ولا مِن أمثاله مَن ينبس ببنت شفة حينما ظهرَ خطيب المسجد الحرام ورئيس شؤون الحرمين الشريفين الدكتور عبد الرحمن السديس وهو يقول متبجّحًا: ((**إنّ السعودية والولايات المتّحدة قُطْبا هذا العالَم في التأثير، <u>ويقودانه إلى مرافئ الأمن والسلام</u>**))!! قالها قبل سنوات قليلة في أواخر الولاية الأولى للرئيس الأمريكي دونالد

ترامب الذي يسعى حثيثًا إلى خدمة مشروع الكيان الصهيوني المحتل، لأنه الكيان الذي يمثّل نفوذهم في منطقتنا العربية -كما لا يخفى-.

هذا السلام والأمن -الذي يدّعيه السديس كذبًا وزورًا- كانت خطّته واضحة بالنسبة لأمريكا، حين أعلنَ رئيسها ترامب خطّته للسلام، وعلى رأسها: **إعلان القدس عاصمة أبدية لإسرائيل**!! وحَمَل بعضَ حكومات الدول الإسلامية على **إبرام صفقات تطبيع** مع الكيان الصهيوني المحتل!!

ولتتأكّد من هذا جيّدًا اقرأ ما قاله مؤخّرًا الأمير السعودي تركي بن فيصل آل سعود -رئيس الاستخبارات السعودية وسفير السعودية لدى أمريكا سابقًا- في رسالته إلى الرئيس الأمريكي "ترامب" مهنئًا له بفوزه بولايته الثانية لأمريكا، التي نشرتْها صحيفة "ذا ناشيونال" الإماراتية باللغة الإنكليزية، بتاريخ: (٨-١١-٢٠٢٤م)، قال فيها: ((سيادة الرئيس، إني من السعودية، وبلدي محاطٌ بنقاط ساخنة تتطلب منكم الاهتمام الفوري والاستمرار فيما ما بدأتموه من قبل. عندما غادرتم في كانون الثاني/يناير ٢٠٢١، لم تكن حينها حربٌ في غزّة، ولم تكن إيران وإسرائيل تتراشقان بالصواريخ، ولم يكن الحوثيون يعترضون الملاحة في باب المندب، ولم تكن ثمّةَ حربٌ أهليّةٌ في السودان، وعلى الرغم من

أن إسرائيل قد قطعت رأس قيادة كلٍّ من حماس وحزب الله، إلا أن الأخير لا يزال قادرًا على قتل جنود إسرائيليين وإطلاق مقذوفات وذخائر أخرى على إسرائيل. بكلمات أخرى، نحن الآن في هرْج ومرْج أشدّ مما كنّا عليه عندما كنتَ في الجناح الغربي (من البيت الأبيض). إنّني أعتقد أن الله أنقذ حياتك، ليس للتعامل فقط مع الوضع داخل الولايات المتحدة، الذي يواجه تحديات هائلة تتحمّل مسؤولية اجتيازها، ولكن، لأنّ أميركا هي كما هي، من حيثُ العمل مع أصدقائك في السعودية وأصدقائك الآخرين في المنطقة، لمواصلة ما بدأته من قبل: إحلال السلام، بأحرف كبيرة، في الشرق الأوسط. إن السلام في فلسطين، وبين إسرائيل وبقيّة العالمين العربي والإسلامي، سوف يحرم أولئك الذين لا يريدون السلام من مبرّر إشعال الحروب، وتجنيد الشباب في آلة الحرب، والإغراء تضليلًا بالاستشهاد)).

ولا أدري لِمَاذا أتعب نفسَه هذا الأمير ابنُ (الملك فيصل العظيم)؟! ولِمَاذا كلّفَ نفسَهُ كلّ هذا (الذلّ) على العلَن؟! وهو يعلَم أنّ سيّده "ترامب" آتٍ بأكثرَ من هذا الذي يرجوه منه.. فقد قال قبل فوزه في الانتخابات الأخيرة بقليل ما نصّه: ((عندما تنظر إلى خريطة الشرق الأوسط تجد أنّ إسرائيل هي بقعة صغيرة جدًا مقارنة بهذه الكتلة

الأرضية الضخمة.. إنها حقًا بقعة صغيرة.. **لقد قلتُ بالفعل: هل هناك طريقة للحصول على مزيد من الأراضي؟))**.

أرأيت؟!!!! إنّه ليس سلامُنا -إذَن-، وإنما سلام المحتل وتمكينه، ونهب المزيد من أراضينا وخيراتنا، والإمعان في اغتصاب مقدّساتنا، وإضاعة حقوقنا، وإفساد مجتمعاتنا... إلخ.

**فأين ذاك الكاتب المدّعي -وأمثاله- مِن حقيقة تضييع الثوابت الشرعية؟! وهل يعرفون -حقًّا- ما هي الثوابت الشرعية؟ وهل ستعلو أصواتهم -كما هي الآن- بعد أن كشفنا تناقضَهم وجَهلَهم؟!**

**نعم، ستبقى أصواتهم النشاز عالية، ما دامت قطرة الحياء قد سقطت من جبينهم.**

## الفصل الثاني (الموقف من قضية فلسطين):

لقد كان هذا الكاتب المدّعي -في بداية طوفان الأقصى- يحرّض أتباعه على السكوت، وعدم الكلام فيما لا يعنيهم، **وكأنّ قضّية فلسطين والأقصى لا تعني المسلمين بعامّة، أو أنّ نصرة المجاهدين (بالكلام والإعلام والدعاء والمال والمقاطعة والمطالبات السياسية) ليس مما يعنينا ولا مما يمكننا!** فيقول لأتباعه: ((قال ابن الوزير: "وأكثَرُ الناسِ لا يَصبرُ عَن الخَوضِ فيما لا يَعنيهِ، ولا يَتكلَّم بتَحقيقِ ما يَخُوضُ فيه، وهذا هو الّذي أفسَدَ الدِّين والدُّنيا، فرَحِمَ اللهُ مَن تَكَلَّم بعِلمٍ، أو سَكَتَ بحِلْمٍ")).

وأقول: ليته هو وأمثاله سكتوا بحلم، إِذَن لَكُنّا سكتنا عنهم، فليس ينقصنا فتح جبهات للردود في ظلّ هذه الظروف، **إلّا أنّهم تكلّموا بجهل وبغي وتخذيل وبهتان، فكان الردّ عليهم من صور مناصرة القضيّة الفلسطينية (ذات الثوابت الشرعية الراسخة).**

وها هو نفسه في موضع آخَر يقرّر فيه أنّ قضية فلسطين ومجاهدة العدوّ هي من أمور **النوازل والفتن**، فيقول: ((أيها "العامّي!" قد خدعَكَ مَن أوهمَكَ أنّ وظيفتك في **النوازل والفتن** أن تكون مُحلّلاً سياسيًّا أو مُفتيًا شرعيًّا! احفظ قلبك وعقلك ولسانك، والْهَجْ بالدُّعاء والتضرّع أن ينصر اللهُ الإسلامَ وأهلَه، وأن يُذلّ الباطلَ وأهلَه، وإلّا فكُفَّ لسانَكَ

وليسَعْكَ الاعتذارُ بعجْزك)).

وهذا مِن أقبح القول في الفقه، مما يدل على أنّ قائله مِن المتطفّلين على موائد أهل الفقه، وأنّه لابِس ثوبَي زور؛ فمنذ مَتى صار في الفقه مجاهدةُ العدوّ المحتلّ مِن أمور الفتن الّتي يُجهَل فيها الحقّ من الباطل، وتَخفَى فيها حقائق المسائل؟!!

ويزيد هذا القول قبحًا أنّه يُلزِم عوام المسلمين بأحد خيارين، ولا يجيز لهم غيرهما:

١- إمّا الاكتفاء بالدعاء.

٢- أو السكوت بعذر العجز.

نعَم، هي من قضايا النوازل، بمعنى البلاء العظيم النازل بالأمّة، لا بمعنى الفتن التي يُجهَل فيها الحقّ من الباطل والصواب من الخطأ!

وإنّ العامي المسلم الّذي يخاطبه هذا المدّعي لهو خير منه وأفقه في دينه، **لأنّه يعرف أنّ مجال القطعيّات الدينيّة يجوز له أن يخوض فيها.** فنصرة المسلمين (بالكلمة أو بالمال أو بالضغط السياسي ونحو ذلك)، ومحاربة المعتدين (بالمقاطعة الاقتصادية أو بالفضح والتشهير ونحو ذلك)، كلّ ذلك من الأمور القطعية التي يدركها كل مسلم، ولا يحتاج

فيها إلى فتاوى المخذِّلين من أمثال هذا المدّعي.

وبما أنّ هذا المخذِّل المدّعي يرى نفسه من علماء المسلمين لا من عوامهم، فإنّه أجاز لنفسه أن يخرج عن هذين الخيارين، إلى خيار ثالث، وهو التخذيل، وتوجيه السهام نحو المجاهدين الذين يحمون ما تبقّى من عرض الأمة، ويستنقذون بعض شرفها وعزّتها.

**ولكي يدرِك أتباعُ هذا المدّعي أنّ شيخَهم -هذا- متطفِّلٌ على أهل الفقه ومخالِف للثوابت الشرعية: أودّ أن أنقل لهم فتوى بعض مَن يرتضونهم من أهل العلم:**

سُئل الشيخ ابن عُثيمين -كما في دروس وفتاوى الحرم المكي- عن الأحداث التي تجري في فلسطين وكيف أن اليهود يقتلون المسلمين كبارًا وصغارًا رجالًا ونساءً بل ويدفنونهم أحياء ويفعلون بهم ما الله به عليم؛ فما حكم الجهاد معهم ونصرتهم؟ وما حكم المسلمين الذين لا يساعدونهم بل يقفون موقف المشاهد مع أن لديهم الاستطاعة؟

فأجاب: ((نحن حسب ما سمعنا أنّ اليهود قتلت الفلسطينيين وسامتهم سوء العذاب بعد ما يسمونه بالانتفاضة، والله أعلم هل هي حقيقة واقعة أو أنه قد غُرِّر بالفلسطينيين ليتحركوا هذه الحركة فيقضي

عليهم اليهود؟ لكن -على كل حال- الذي يليق بنا أن نعين هؤلاء على ما هم فيه من المحن والأذى بكل حال، وحسب ما سمعت أن هؤلاء الفلسطينيين الذين في الأرض المحتلة تحركوا حركة إسلامية لا قومية، يريدون أن يتخلصوا من اليهود الذين يحتلون المسجد الأقصى، ومعلوم أنه إذا كانت الحركة حركة إسلامية لإنقاذ البلاد من الكفر فهو جهاد في سبيل الله، والجهاد في سبيل الله من وظائف المسلمين ومن مهمات المسلمين، ولكن لا بد من طريق طويل بالنسبة للفلسطينيين، لأنهم عُزّل ولا يمكنهم حمْل السلاح بواسطة السيطرة القوية من جانب اليهود عليهم، فالمسألة تحتاج إلى ما يسمونه بالتضحيات، وإلى طول نفَس، ومدّة، حتى يأتي الله -تعالى- بالنصر)).

**ويلحظ القارئ في هذه الفتوى مَلاحِظ مهمّة:**

١. أنّ **الجهاد** من مهمّات المسلمين.

٢. أنّ حركة حماس حركة إسلامية **همّها الجهاد في سبيل الله.**

٣. أنّ على الفلسطينيين مواصلة الجهاد والتضحيات، **مع كونهم عُزَّلًا من السلاح! ومع عدم تكافؤ قوّتهم مع قوى العدو.**

٤. أنّ طريق المجاهدين في فلسطين **طريق طويل**، فلا بدّ فيه من **التضحيات والصبر** حتى يأتي الله بالنصر.

٥. أنّ نصرة المجاهدين (أصحاب الانتفاضة) وإعانتهم واجبة على المسلمين **حتى لو كانوا قد غُرِّر بهم بقصد إبادتهم.**

ومثل ذلك سُئل الشيخ ابن باز -كما في مجموع فتاواه ومقالاته-: ما تقول الشريعة الإسلامية في جهاد الفلسطينيين الحالي؟

فأجاب: ((لقد ثبت لدينا بشهادة العدول الثقات أن الانتفاضة الفلسطينية والقائمين بها من خواص المسلمين هناك، وأن جهادهم إسلامي؛ لأنهم مظلومون من اليهود، ولأن الواجب عليهم الدفاع عن دينهم وأنفسهم وأهليهم وأولادهم، وإخراج عدوهم من أرضهم **بكل ما استطاعوا من قوة**. وقد أخبرَنا الثقات الذين خالطوهم في جهادهم وشاركوهم في ذلك عن حماسهم الإسلامي، وحرصهم على تطبيق الشريعة الإسلامية فيما بينهم، فالواجب على الدول الإسلامية وعلى بقية المسلمين تأييدهم ودعمهم... فالواجب على إخوانهم المسلمين نصرهم على من ظلمهم)).

**ويلحظ القارئ في هذه الفتوى مَلاحِظ مهمّة:**

١. أن القائمين بالانتفاضة والجهاد هم من **خواصّ المسلمين**. وهم حريصون على تطبيق الشريعة الإسلامية.

٢. أن **جهادهم إسلامي شرعي**، لا مجرد قتال من أجل القومية

والحرية والأرض، بل هو في سبيل الله.

٣. أن الجهاد واجب عليهم **بكل ما استطاعوا من قوة، للدفاع عن أنفسهم وأهليهم.**

٤. أن الواجب على الدول الإسلامية **دعمهم ونصرهم وتأييدهم.**

إنّ هذا الطرح يكاد يغيب في أوساط التيار الذي يزعم متابعة هؤلاء الشيوخ، **بل إنّ هذا التيار اليوم يطرح عكس هذا الطرح تمامًا، وهذا دليل انحرافٍ خطير، شرُّه مستطير!**

## الفصل الثالث (حكم الجهاد في فلسطين):

إنّ من آثار الانحراف الخطير ذي الشرّ المستطير -المذكور آنفًا-: أنْ يقوم علماء السلطان بإثارة عدد من الشبهات للخروج بنتيجة مفادها (عدم جواز الجهاد في فلسطين)! بل تجريم القائمين بالجهاد هناك، ووصفهم بأنهم من الخوارج والإرهابيين، بل وصفهم بأنهم عملاء للمحتلّ، وهذا اتّهام -لعمري- مِن باب: (رمتني بدائها وانسلّت).

### المطلب الأول (شبهة انعدام القدرة):

**مثال ذلك** فتوى لمفتي مكة المكرمة: الدكتور محمد بن عمر بازمول، في موقعه الإلكتروني الرسمي، عندما سُئل عمّا يجري في غزة من حرب مع اليهود، فقال: ((الجهاد الشرعي له ضوابط، ضوابطه ليست متوفرة فينا اليوم، لا قدرة لنا على المواجهة، و{لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها}. إذا كان سيدنا عيسى -عليه الصلاة والسلام- سيحكم في آخر الزمان بشريعة الرسول محمد ﷺ... اكتساح يأجوج ومأجوج لمنطقة الشام وما حولها هو مثل اكتساح أهل الكفر وأهل الباطل لمنطقة من المناطق الإسلامية، فجهادهم من باب جهاد الدفع، ومع ذلك اللهُ عز وجل يوحي إلى عيسى أن اصعد بعبادي إلى جبل الطور فإني أخرجت عبادًا لي لا يدان لكم بهم. ما قال له الله: اذهب لمواجهتهم! ما قال له: كيف

تجعلهم يستولون على البلاد والعباد! لا، قال: اصعد إلى جبل الطور إني أخرجت أقواماً لا يدان لكم بهم، هذا حكم الله)) ا.هـ.

قلتُ: إنّ هذا الحديث من أحاديث علامات الساعة الكبرى، ومن أحاديث الفتن العظمى في آخر الزمان، ولم يؤثَر عن أحد من العلماء أنه استشهد به في باب الجهاد وأحكامه، ذلك أنّ **له خصوصية من عدة جوانب**:

**الجانب الأولّ**: أنه إخبار عن أمر في المستقبل، وليس هو من أحاديث الأحكام التي نستطيع استنباط الأحكام الشرعية منها، لأن المستقبل له سياقاته غير المعلومة، وواقعه مجهول مغيَّب عنّا، فهو في عِلم الله تبارك وتعالى. بخلاف الأحاديث الواقعية التي أخبرَت عما وقع في زمن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من أوامره وأفعاله وأحواله وتقريراته، فإنّ سياقاتها معلومة، ويمكن تنزيلها على الواقع المماثل لها.

**الجانب الثاني**: أن ما جاء في هذا الحديث هو حالة خاصة استثنائية، فإنه يُخبر عن نبي من أنبياء الله، وأنّ الله يوحي إليه حينها بِوَحي مخصوص، يَلزمُهم الامتثال له، فهو نصّ قاطع، وليس اجتهادًا ورأيًا، فلا اجتهاد مع النصّ. أما واقعنا الآن فليس معنا نبي يوحى إليه، وإنما عندنا الإرث المحمّدي: الكتاب والسنة، فمنهما **نستخلص** الأحكام، وبهما

نتّبع سيّد الأنام، عليه الصلاة والسلام.

**الجانب الثالث**: أن في الحديث نصًّا من الله بأن المسلمين آنذاك لا قِبَلَ لهم بهذا العدو، ولا استطاعة عندهم على مواجهته البتة. وهذه الحالة عندنا عليها شواهد في الكتاب والسنة، لا سيما النصوص المتعلقة بالمرحلة الأولى ما قبل تشريع الجهاد والإذن به. وهذه حالة استثنائية كما قلنا، ولا تنطبق على واقعنا، لأن عدم الاستطاعة المذكورة هنا هي **لأنّهم أمام إبادة كليّة لا تُبقِي ولا تذَر**، وفي تتمة الحديث مصداق ذلك، فإنّه لن ينجو من الناس آنذاك إلا من تحرّز إلى الطور مع عيسى -عليه السلام- واختبأ معه. فهم لا يملكون شيئًا من القدرة، ولن يبقى منهم أحد لو واجهوا العدو؛ **فهذه الصورة غير واردة في عصرنا**.

**الجانب الرابع**: أنّ في الحديث نصًّا من الله بالتحرّز والاختباء، فهو أمر واجب الامتثال على المسلمين، ومَن يخالفه آثم. بينما في واقعنا فإن الأمر مختلف، فليس عندنا سوى **الاجتهاد في فقه الواقع وتقدير المصالح والمفاسد**، لذلك نجد الفقهاء تكلموا عن الاجتهاد في ذلك حتى في حالات ما يسمى بجهاد الطلب، بحيث جعلوه راجعًا إلى تقدير المُقاتِل في أرض المعركة، من ذلك ما ذكره البُهوتي في كتابه "كشاف القناع عن متن الإقناع"، قال: ((وإن زادوا على مثليهم فلهم الفرار، وهو -أي:

الفرار- **أولى** من الثبات إن **ظنوا** التلَف بتركه -أي: الفرار-، وأطلقَ ابنُ عقيل **استحبابَ** الثبات للزائد، لِمَا في ذلك من المصلحة. وإن ظنوا الظفر فالثبات **أولى** من الفرار، بل **يستحب** الثبات لإعلاء كلمة الله، **ولم يجب**، لأنهم لا يَأمَنون العطب كما لو **ظنوا** الهلاك فيهما -أي: في الفرار والثبات-، **فيستحب** الثبات، وأن يقاتلوا، ولا يستأسروا، قال الإمام أحمد: "ما يعجبني أن يستأسروا")).

فواضحٌ أنّ هذه المسألة تتعلق بـ(الأَولى وما يُستحَب)، وليس بـ(الوجوب أو التحريم)، فضلًا عن التأثيم والتجريم. مع أنّها في حال جهاد الطلب.

أما في حال جهاد الدفع فالّذي يُخطِئ في تقدير الأمور وفِقْهها هو أَوْلى بعدم التجريم والتأثيم، بل حقُّه الأجر والشكر، لأنّه عمل بما عرَفَه في سائر مَذاهب الفقه الإسلامي، مِن أنّ (العدوّ إذا هجَم فيجب على الجميع أن يخرج لقتاله، حتى العبد دون إذن سيّده والمرأة دون إذن زوجها والولد دون إذن والديه).

ولا نريد أن نتشعّب في ضرب الأمثلة، بل نقتصر على أهم مثال، وهو الذي نحن بصدده الآن: أعني القضية الفلسطينية، فإنّ أهل فلسطين كانوا وما زالوا مشروع إبادة في حسابات المحتل منذ بداية

احتلاله، ولكنهم بصمودهم أمامه وبمواجهتهم له: استطاعوا النجاة والبقاء حتى الساعة بل حتى قيام الساعة، حتى إننا لنعجب كيف كانت المقاومة في أولها، ثم كيف دُحرت وهُزمت، ثم اسْتخْفَت من العدو، ثم تمكنت بعض الشيء، وقادت عدّة انتفاضات، ولم تنقطع عن تنفيذ العمليات الفردية من حين إلى آخر، حتى استطاعت اليوم أنْ تبلُغ من القوة والقدرة ما بلغَت، فصارت مثلًا يُضرَب في الدروس العسكرية، وفي الحروب التحريرية.

هذا بالنسبة للمقاومة نفسِها ذات الإمكانات المتواضعة بالمقارنة مع العدو، **فما بالنا لو قام المسؤولون من أهل الإسلام بواجبهم تجاه القضية**؟ ألا يمكنهم دحر العدو وتحرير كامل الأرض؟ **بلى، بإمكانهم ذلك، لولا أنّ أكثرهم أهل خيانة.**

والمحتلّ إذا قَتلَ منّا أكثر مما نقتل منه فلا يعني ذلك سقوط فريضة الجهاد عن المسلمين. ولا يعني أننا في حالة تشبه حالة انعدام القدرة والاستطاعة. **والنّصرُ ليسَ وعدًا لأحدٍ بالرّفاهية، فلأجلِ ماذا اشترى الله من المؤمنين أنفسَهم**؟ وها هي المقاومة تبذل مُهَجَها في هذا السبيل، مِن أكبر رأسٍ فيها إلى أصغر رأس، وكلّهم كبار.

والعجَبُ ممن يتلاعب بفقه الجهاد فينزل هذه الحال منزلة جهاد

الطلب فيشترط له شروطه ويذكر فيه موانعه، بحجّة أنّ العدوّ صار مستوليًا مستوطنًا، ولم يَعُد مُداهِمًا! وهذا ليس من فقه السلف ولا مَن تَبِعهم من أهل العلم، إنما كان مِن فقههم ما لخَّصَه الشيخ محمد رشيد رضا في "المنار"، قال: ((والجهاد... إنّما يجب على كلِّ مكلَّف إذا استولى العدوّ على بعض بلاد المسلمين وتوقَّف دفعه على ذلك)).

بل إن الفقه السليم للواقع يدعونا إلى أن نُنزل كثيرًا من الأحوال التي تجري في (غزة) منزلةَ دفع الصائل، ومعلوم أنّ دفع الصائل هو أخص أحوال جهاد الدفع، ولا يشترط له شرط، فلو هجمَتْ عليك الأمم كلها لتعتدي على نفسك أو مالك أو أهلك أو دينك، فعندك نصّ من نبيّك المصطفى -عليه الصلاة والسلام- يجيز لك أن تقاتلهم وإنْ كنتَ أعزل، وإنْ تيقّنتَ موتَك، فتموت شهيدًا، كما صحّ في غير ما حديث عن رسولنا الأكرم صلى الله عليه وسلم.

**المطلب الثاني (شبهة الجهاد البدعي):**

**ومن الشبهات الأخرى** التي يثيرها دعاة التخذيل وشيوخ السلاطين ما جاء في فتوى المدعو عبد المالك رمضاني الجزائري؛ فقد سُئل -كما في قناته الرسمية في يوتيوب- عن الموقف الشرعي من الحرب الأخيرة في غزة باعتبار أن المقاومة هي التي استبقت العدو المحتل هذه المرة؟ فقال: ((البحث هنا ليس في كون مَن يقابل اليهود سني أو مبتدع، ففي ظنّي أن هذا غلط في البحث الآن، بل سيرجع غباره على وجوهنا، وينفر الناس خاصهم وعاميهم من دعوتنا(!)، لأن جهاد المجاهد ندخله تحت الفقه الإسلامي في ضوابط الجهاد المستنبطة من الكتاب والسنة، فنعرض جهادي وجهادك على جهاد النبي صلى الله عليه وسلم، فإن وافقه قلنا هو جهاد سني، **وإن خالفه قلنا هو جهاد بدعي**، كما يقول ابن تيمية رحمه الله: الجهاد ينقسم إلى قسمين: جهاد سني وجهاد بدعي)). ثُمّ في مقطعٍ آخر له في قناته الرسمية، يَخلُص إلى نتيجةٍ قطعيةٍ عنده، وهي أنّ مَن يقول بأنّ الجهاد الآن واجب، ويدعو إلى إعانة المجاهدين في غزة ونصرتهم، فإنّ كلامه هذا كلام باطل، وأنّه كذب على دين الله عز وجل!! هكذا قال بعدَ مرور عام على انطلاق معركة طوفان الأقصى!

وكلامه بُني على أساسين: **الأول**: عدم القدرة على الجهاد، **والأساس**

**الثاني**: أنّ مفسدة القتال أكبر من الكفّ عنه.

**فأمّا الأساس الأول** الذي بَنى عليه تبديعه للجهاد؛ فهو أساس باطل كما أوضحناه في الرد السابق على قرينه بازمول، وذكرنا أنّ القدرة الضعيفة تختلف عن القدرة المنعدمة، وجهاد الدفع لا يشترط فيه التكافؤ، وهذا من بديهيات الفقه التي يتجاهلها هؤلاء القوم -ولا أقول يجهلونها-.

**وأما الأساس الثاني** الذي بَنى عليه تبديعه للجهاد؛ فإنّ تقدير المصلحة والمفسدة قد يختلف من عالِم إلى آخَر، ومن بلد إلى آخر، ومن وقت إلى آخر، فهو محل اجتهاد عند العلماء.

وعلى فرض صحّة قوله بغَلَبة المَفسدة وانْعدام القُدرة؛ فإنّه **لا يحقّ له أن يصف الجهاد في هذه الحالة بأنه جهاد بدعي**، وإنما غاية ما يمكن أن يقال فيه: بأنه قتال غير شرعي، أي لم تتوفر فيه الشروط الشرعية، ولا يقال فيه بأنه قتال بدعي!

**وقد نسَبَ إلى ابنِ تيمية تقسيمَ الجهاد إلى سنّي وبدعي، وهذا تقوُّلٌ على ابن تيمية**، لأنّ ابن تيمية حين جاء على هذا المصطلَح وضعَه في سياق آخر ولمعنى آخَر، فقال: ((يجب أنْ يُعرف الجهاد الشرعي الذي أمر

الله به ورسوله، مِن **الجهاد البدعي**، جهاد أهل الضلال، الذين يجاهدون في طاعة الشيطان، وهم يظنون أنهم مجاهدون في طاعة الرحمن، كجهاد أهل البدع والأهواء كالخوارج ونحوهم الذين يجاهدون في أهل الإسلام... وكذلك مَن خرج من أهل الأهواء على أهل السنة واستعانَ بالكفّار من أهل الكتاب والمشركين والتتر وغيرهم، هم عند أنفسهم مجاهدون في سبيل الله، بل وكذلك النصارى هم عند أنفسهم مجاهدون!)) [الإخنائية، لابن تيمية: ص٤٧٤-٤٧٥].

هذا هو الجهاد البدعي الذي تكلّم عنه العلماء، **بينما يتقوّل الرمضاني عليهم** ويدّعي أنّهم يقصدون بالجهاد البدعي كلّ قتال تخلّفَت عنه بعض الشروط والضوابط الشرعية.

وهذا باطل، لأن الجهاد الذي يفقد بعض الشروط، هو جهاد شرعي في أساسه، لكنه قد يُمنع منه لفقدانه بعض تلك الشروط. **بخلاف الجهاد البدعي، فهو جهاد يخالف الشريعة من أساسه**، كجهاد مَن ذكَرهم ابن تيمية: جهاد الخوارج الذين يَقتلون فيه أهل الإيمان، وجهاد أهل الأهواء الذين يُعاونون الكفرةَ على المسلمين ويمكّنونهم من دمائهم وبلادهم وأموالهم.

**أما مَن فقدَ جهادُهم بعضَ الشروط، فلا يقال فيه إنه جهاد بدعي،**

فها هو ابن تيمية نفسُه ضربَ مثالًا على ذلك بإحدى الوقائع، فقال: ((ولهذا كان أهل المعرفة بالدين والمكاشفة لم يقاتلوا في تلك المرة لِعَدم القتال الشرعي الذي أمر الله به ورسوله، ولِمَا يحصل في ذلك من الشر والفساد وانتفاء النصرة المطلوبة في القتال، فلا يكون فيه ثواب الدنيا ولا ثواب الآخرة -لمن عرف هذا وهذا-، وإن كان كثيرًا من المقاتلين الذين اعتقدوا هذا قتالًا شرعيًا أُجِروا على نيّاتهم)) [الاستغاثة، لابن تيمية: ص٤١٣].

وواضحٌ من هذا أنه كان جهادًا شرعيًا في أساسه، لأنه في قتال المغول المشركين المحتلّين، وأنّ العُصبة التي قاتلتهم كانت مِن أولى الناس دخولًا في الطائفة المنصورة -كما صرّح ابن تيمية في الكلام عنها في غير ما موضع من كتبه-، ولكن قتالها في تلك الواقعة لم يكن وفق الضوابط الشرعية، وتخلّفت عنه بعض الشروط التي تجعل هذه الطائفة أهلًا لنصر الله. كما بيَّن أن عدم شرعية قتال المقاتلين في تلك الواقعة لا تعني تجريمهم وتأثيمهم، لأنهم اجتهدوا واعتقدوا أنه جهاد شرعي، فأُجِروا على نيّاتهم، بخلاف قتال الخوارج للمسلمين، ومعاونة أهل الأهواء للكفار على المسلمين، ممن يُمكّنون لهم القواعد ويفتحون لهم الحدود البرية والبحرية والجوية ونحو ذلك!

وفي هذا ردٌّ أيضًا على بعض ما جاء في سلسلة الأستاذ الدكتور سلمان بن نصر الداية التي بعنوان (أيّها الساسة: أوقفوا هذا المَدَّ)! ولكَ أن تتخيّل أيّها القارئ أنّ المَقصود بالساسة -هنا-: ساسة غزّة (حكومة حماس) -فقط-، فهو ليس نداءً موجَّهًا إلى عموم ساسة العرب والمسلمين والأمم المتحدة ومَن يَعنيهم أمر هذه الإبادة ويقع على عاتقهم واجب الدفع والنصرة!

ومع احترامنا للدكتور الداية، ومعرفتنا باستقلاليّته، واطّلاعنا على بعض مواقفه المنصفة سابقًا، لكنّنا يجب أن لا يصدّنا ذلك عن بيان ما زلّ فيه -في سلسلته هذه-، ومِن ذلك أن يُلقي باللوم في هذا الوقت وبهذه الطريقة على حركة المقاومة -دون غيرها-، لتسبّبها بهذا الدمار والبلاء لأهل غزة، وأنّ ذلك انتهاك للأحكام الشرعية! بينما نَلحَظ في بقية كلامه أنّه جاء على ذكر الدول المجاورة وغيرها، دون أي إشارة إلى واجبها في إيقاف هذا المَدّ!! فَبِذلك يكون هو المنتهِك للأحكام الشرعية، لأنّ كلامه إضعاف للطرف المقابل للعدو، ولأنّ كلامه لن ينتفع به إلا المتربّصون بهذه المقاومة، إلا إن كان هو من المتربّصين، فيكون لنا معه كلام آخَر.

وما أحسن ما صرّح به صديق يحي السنوار: الدكتور مأمون أبو

عامر -الأكاديمي السياسي المتخصص في الشؤون الإسرائيلية- حين قال: ((**أحيانًا قد نختلف مع المجاهدين، لكن لا نختلف عليهم، ولا نكون صوتًا لأعداء الله عليهم**. ولِمَن يسارعون في إرضاء العدو بالهجوم على المجاهدين نقول لهم: {فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ})).

ومن كبير الزلل الذي وقع فيه الداية -نسأل الله له الهداية- أنّه كان في كل حلقة من سلسلته يبدأ بقولٍ من أقوال قيادات حركة حماس، ثم يعلّق عليه بالردّ والنقض، وهو لم يفهمه على وجهه الصحيح، فإمّا أن يقلب معناه، أو يستنتج منه قصدًا شنيعًا ينسبه إلى القائل للطعن في نيّته!! وهذا يُضعِفُ الثقة بملكته الفقهية! ولكي لا يظلّ قولي هذا مجرّد دعوى، سأضرب مثلًا على ذلك بما فهمه من قول القائل بالعاميّة: (ما لازم حدا يتخيّل أنّ التضحيات أنْ يستشهد الشعب أو تستشهد النساء والأطفال. التضحيات أوّلًا يجب أن تُنظر إليها في صفوف المقاتلين والمجاهدين وفي صفوف القيادة)، فماذا فَهِمَ "عميد كلية الشريعة والقانون" مِن هذا الكلام؟ لقد فَهِمَ أنّ الرجل يدعو إلى التضحية بالشعب، فراح يسرد الآيات والأحاديث والفتاوى الدالة على أنّ القادة

والجند وظيفتهم حفظ مصالح الناس (الأنفس والذراري والأموال)، وأن يدرؤوا عنهم كل ضارّ وقبيح!

فهل كلامُ القائل كان هكذا؟! وهل كان في كلامه شبهة لإساءة فَهْمِه؟! عجبًا والله!

في رأيي أنّ القائل تكلم بوضوح عن تضحيات الجند والقادة، واستبسالهم في مصارعة المحتلّ. وأنّ النظر إلى تضحياتهم يسبق النظر إلى تضحيات الشعب، لأن الشعب ليس هو المستبسل المبادِر إلى المعركة، وإنما وقع عليه الأمر وقوعًا، لكن تُحسَب التضحية لمن كان منهم مستبسلًا في الثبات، وعدم التنازل عن حقه في الوجود على أرضه التي يراد انتزاعها منه.

ومثالان آخَران على سوء فهم الدكتور الداية كنتُ قد بيّنتهما عند الكلام عن نقض الاتهام الرابع في الفصل الثالث من المبحث الأول.

## المطلب الثالث (شبهة شرط التوحيد):

**ومن الشبهات الأخرى** التي يثيرها دعاة التخذيل وشيوخ السلاطين ما جاء في بعض فتاوى مفتي المدينة النبوية: الدكتور صالح السحيمي، التي يدندن فيها على أنّ إصلاح العقيدة شرط من شروط الجهاد، وضرَبَ على ذلك مثالًا يرى فيه مخالفة صريحة لعقيدة التوحيد، وأنّه من الشرك الأكبر(!)، فقال: ((واللهِ في أحلك الظروف سمعتُ بعض الإذاعات العربية الإسلامية المتحمسة -أيام الاعتداء على غزة- يُنادون المعتصم: "وا معتصماه"، "أين أنت يا صلاح الدين"، هذا هو الشرك الأكبر، بدل أن تستعين بربك تستعين بصلاح الدين؟! صلاح الدين قدّم ما قدّم للإسلام والمسلمين ونصرَ اللهُ به الدين، نسأل الله أن يتغمّده برحمته، تأتي أنت تستغيث به!)).

وهذا المثال يدل على أن صاحبه يرتع في بحر الجهل باللغة العربية وأساليبها، فكيف له أن يفهم كتاب الله وسنة رسوله؟! وكيف له أن يفتي الناس في أحكام دينهم وهو على هذه الحال؟!

إنّ مِن أبجديات علم البلاغة العربية أنّ الأساليب تتنوّع دلالاتها، وتُفَهم من قرائن الحال وقرائن المقال، وأنّ أسلوب النداء قد يخرج عن معناه الأصلي (وهو طلب الإقبال) إلى معانٍ متعددة يحددها السياق،

ومنها أمثلة لا عَدَّ لها ولا حصْرَ من أقوال الشعراء جاهليّهم وإسلاميّهم، قديمهم وحديثهم، فيها نداء الجمادات والحيوانات، وفيها نداء غير الحاضر وما لا يَسمع... فيُراد منها: الحثّ والإغراء أو التحسّر والتأسّف أو التوجّع والتفجّع أو الزجر واللوم أو التذكّر والحنين أو التنبيه أو التعجّب أو التضجّر أو اليأس أو الحزن إلى غير ذلك مما هو مقرر في كتب البلاغة، ومنها على سبيل المثال ممن استوعب هذه الأمثلة: كتاب "البلاغة العربية" للشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني.

ولم نسمع أحدًا من علماء الشريعة يقول عن قول الشاعر: (يا دار عبلة) بأنّه شرك! ولا قول الآخَر: (يا غراب البين...) أو: (فيا موت زُر...) أو: (ألا أيها الليل الطويل...) أو: (فَيا قَبْرَ مَعنٍ كنتَ أَوَّلَ حُفْرَةٍ)...

ومِن ذلك -أيضًا- مناداتنا بالعامّيّة للوالدَين حتى لو لم يكونوا على قيد الحياة أو لم يكونوا قادرين على التلبية، فنقول: (يا يابه) للتهويل أو التعجّب غالبًا، ونقول: (يا يمّه) للتحزّن والتوجّع غالبًا.

ولهذا نفهم من قول الشاعر المعاصر:

أيا عمر الفاروق! هل لك عودةٌ؟ فإنّ جيـوش الروم تَنهى وتأمـرُ

أنّه يقصد **التذكّر والحنين**، وهو كذلك يضرب مثالًا للجيل الحاضر

بعزّة المسلمين في العصور الأولى، فهو نداء **يهدف إلى إحياء نموذج القدوة الأمثل.**

وإذْ قد كشفنا عن بطلان كلام هذا المفتي الذي يَنتجُ عنه تكفيرُ المسلمين بالجُملة! فلا بدّ أن نكشف أيضًا عن بطلان فقهه لشروط الجهاد، حين جعلَ من شروطه (صحة المعتقد)، والغريب في الأمر أنه حين تكلّم عن صحة المعتقد، جاء على ذِكر صلاح الدين، فأثنى عليه وعلى جهاده وأنّ الله نصر به الدين. وعنده أنّ صلاح الدين رجلٌ أشعري مبتدع عنده انحراف في العقيدة!

وبعد أن يأخذك العجَب كلّ مأخذَ، عُدْ لِتَنظر في حال هذا الشرط وموقعه من الشريعة الإسلامية، فإنّك واجد أنه **شرط لا أساس له،** لأنّ شرط الجهاد وسائر الأحكام هو أن تكون مسلمًا، والمسلم قد يكون مقصّرًا في جانب العقيدة وجانب العبادات وجانب السلوك وجانب المعاملات، وقد يكون مبتدعًا أو منحرفًا عن المنهج الصحيح، **فلا يخرجه ذلك عن كونه مسلمًا، ولا يرفع عنه التكليف.**

فالمسلم مكلّف بالجهاد، لا فرق بين سنّي وشيعي، ولا صوفي وسلفي، ولا أشعري وحنبلي، ولا حزبي وغير حزبي.

ولكن نجد العلماء يحثّون الناس على إصلاح دينهم (في العقائد والسلوك والعبادات وغيرها)، لأنّ ذلك من (عوامل النصر)، لقوله تعالى: {إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ}، وقول أبي الدرداء رضي الله عنه -كما في صحيح البخاري-: "أيّها الناس عملٌ صالحٌ قبلَ الغزو، فإنّما تُقاتِلون بأعمالكم"؛ فهذا من باب كمال العُدّة الإيمانية، وأنّها مظنّة النصر المؤزّر بجنود ربّ العزّة.

ولا يعني ذلك أنّ مَن جاهَدَ وفي عقيدته بعض الانحراف أو النقص أو الابتداع أو الجهل بالدين الصحيح فَجِاهدُه باطل! أو أنّه لا يمكِن أنْ ينتصر! وإلّا فأين نحن من قول رسول الله عليه الصلاة والسلام: "إِنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ" رواه البخاري ومسلم. وقوله عليه الصلاة والسلام: "إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِأَقْوَامٍ لا خَلاقَ لَهُمْ" رواه أحمد بإسناد صحيح.

وكثيرًا ما نرى هذه الفئة تستشهد بكلام ابن تيمية في معركة وادي الخزندار سنة (٦٩٩هـ) ضد التتار، التي وصف قتال المسلمين فيها بأنه (قتال غير شرعي)، كما في كتابه: "الاستغاثة" (ص٤١٢-٤١٤)، عندما ذكرَ أثر تحقيق التوحيد واجتناب الاستغاثة بغير الله تعالى في تحقيق النصر، وأنّ بعض كبار أهل الشام حصل منهم إخلال بالتوحيد واستغاثة بالموتى

لمّا هاجمهُم التتار، ثم لمّا أمرَهم الشيخ بتحقيق التوحيد، وأصلح الناسُ أمورهم هُزِم التتار في معركة شقحَب الشهيرة سنة (٧٠٢هـ).

فظنّت هذه الفئة الضالّة أنّ ابن تيمية يقصد من كلامه اشتراط صحّة العقيدة وسلامتها في مشروعية الجهاد! وقد أحسنَ الباحث محمد براء ياسين في التنبيه على غلطهم هذا وأنّه ناشئ عن عدم فهمهم سياق كلام ابن تيمية الذي كان يتحدث فيه عن عدم مشاركة مَن وصفَهم بـ(أهل المعرفة بالدين والمكاشفة) في تلك المعركة، لسببَين: أنّه لم يكن قتالًا شرعيًّا، وأنّ النصرة المطلوبة منتفية في هذا القتال. فمن هنا ظنّوا أن عدم شرعية القتال في تلك المعركة معلّل بوقوع الاستغاثة، وأنّ الشيخ رأى القتال غير مشروع في البداية لهذا السبب ثم مع زواله صار القتال عنده مشروعًا، وهذا وهمٌ لا يقع فيه مَن يَعي سياق كلام ابن تيمية، وقد يكون سببه عدم فهم تفاصيل الأحداث التي يتحدّث عنها، لا سيما أنّه معروف باستطراداته.

ويكفي العاقل أنْ يَعرف "أنَّ المُعلَّل لا يتقدَّم على العلّة"، فحدوث الاستغاثة كان بعد القتال الذي تحدّث عنه ابن تيمية، فلا يمكن أن يَجعل وقوعَها علّةً لِعدَم مشروعية القتال الحاصل قبلَها!

إذَن كلام ابن تيمية كان يقصد به تحقيق السنن القدرية مع السنن

الشرعية في استجلاب النصر، وبهذا يكون متّسقًا مع الأدلة التي أسلفْنا ذِكرَها.

وعلى فرض أنّ كلام ابن تيمية كان كما فهموه، فهل يجوز أن نجعل الاستشهاد بكلام العلماء بمنزلة الاستشهاد بالوحي؟! إنّ هذا صنيع أهل التقليد والتعصب والجهالة.

**المطلب الرابع (من فقه الدفع):**

وفي سياق الكلام عن السنن القدرية والشرعية، يحسن أن نعرّج على آيات كريمات في فقه الجهاد، فيها تذكرة لكل ذي قلب سليم:

قال الله تعالى: {**أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**} فها هنا طلبَ القوم من نبيهم القتال لاسترداد الحق، فسألهم نبيهم ليتبيّن صدقهم وعزمهم: {**قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا**} فذكروا من أسباب القتال احتلال العدو بلادهم وإخراجهم من ديارهم، {**فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ**} فبعد أن كتب الله عليهم القتال فشل كثير منهم في اختبار الصدق والعزيمة، وهذا أول مؤشِّر يؤدي في حسابات الناس إلى الهزيمة، واستحقّ الذين فشلوا فيه أن يوصفوا بـ(الظالمين)، ولكن استمرّ الواجب الذي كتبه الله عليهم، {**وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ**} وهذا المؤشّر الثاني على السير في طريق الهزيمة، لأنّ القوم قد أفصحوا عما تنطوي عليه نفوسهم من الصراع على الملك ففشلوا في اختبارهم

الثاني هذا، ودبّ فيهم النزاع الذي يفشلهم ويذهب ريحهم، فكان لا بد من العمل على توحيد الصف، فقام نبيّهم بالرد عليهم بما يقتضي جمع الكلمة ورأب الصدع: {**قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**} فسار معه الذين لم يتولّوا عن القتال، {**فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ**} وهذا اختبار ثالث أثناء السير إلى المواجهة، بمنعهم من الماء، حتى استولى عليهم العطش، فلمْ يَصبر منهم في الاختبار وينجح إلا فئة قليلة، {**فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ**} هنا تبرز فئة من المؤمنين قد تسرّب الضعف إلى إيمانهم عند ملاقاة العدو، فكانوا أحوج ما يكونون إلى مَن يذكّرهم ويثبّتهم في ساعة العسرة: {**قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ * وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ**

**الْكَافِرِينَ * فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ**} فها هنا انتصر الإيمان، ولم يَنَل شرف هذا النصر إلّا مَن ثبَت وأيقَن، وهذه إرادة الله القدرية لدفع الفساد عن الكون {**وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ * تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ**} فهذه القصة لم تكن للتسلية والإمتاع، وإنما كانت لحث نبيّنا ومَن معه على الاتباع، ولهذا وجدنا هذه الآيات متمثّلة في السيرة المحمّديّة، لا سيّما في غزوة الأحزاب، حين ثبتت أقدام الصادقين، وكثُرت أعذار المنافقين، ونقَض اليهودُ العهدَ، فأصبح المسلمون بين عدوٍّ مجاور، وغازٍ أَحكَم الحصارَ عليهم مِن كلّ مَنفَذ {**إِذْ جَاؤُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا**} فتَسلَّل المنافقون وأرجفوا، وأساؤوا الظن بالله ورسوله، وتخلّوا عن الجهاد والنصرة {**وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا * وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا**} فولّى المنافقون وتركوا الميدان لأهل الإيمان، الذين صبروا

وصابروا، وبَذلوا أقصَى ما في وُسعهم، مع شدة البرد والجوع والحصار، وأحسنوا الظن بالله ورسوله {**وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا**} فكانت النتيجة أن نصرهم الله بنصرٍ خارج عن مقادير البشر: {**فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا**} وانهزَمَ العدوُّ هزيمةً لم يَعُدْ للهجوم بعدها، بل كان المؤمنون هم الذين يُهاجمونه.

إنّ هذا الفقه لَبعيدٌ عن أهل التخذيل وعن مدّعي الثوابت الهوائية، الذين كشفنا بعض شبهاتهم.

**المطلب الخامس (فقه علماء السلطان):**

وقبل أن نختم هذا الفصل **ثَمَّ نموذج آخَر** من نماذج علماء السلاطين، ولكن من طائفةٍ أخرى، وهو الشيخ عبد الله بن بيه، رئيس مجلس الإمارات للإفتاء الشرعي، الذي كانت له تصريحات مخزية في الحرب الأخيرة الجارية في غزّة. من ذلك قوله: ((إنّ حمْلة "تراحم من أجل غزة" الّتي وجّهها رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة، هي تأكيد للدور الرائد السباق للدولة في إغاثة ونجدة المحتاجين عمومًا وأهل فلسطين خصوصًا... وشريعتنا السمحة تحث على مساعدة المحتاجين وإغاثة الملهوفين وعون المستضعفين)) مستشهدًا بقوله تعالى: {مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}. كما استشهد بقول النبي صلى الله عليه وسلم: "الصدقة برهان"!

هذا هو مبلغه من النصرة! وهكذا هو خطابه الذي يحسبُه قارئهُ بيانًا صادرًا عن إحدى المنظّمات الإنسانية الإغاثية، وليس عن مؤسَّسة إفتائية إسلامية تعنى ببيان الأحكام الشرعية!

ولماذا نستغرب ذلك؟ فهو ومَن وقّعَ معه على بيان (مجلس حكماء المسلمين) في الحرب السابقة سنة (٢٠٢١م)، كانوا قد صرّحوا فيه بقولهم:

((تدعو الأمانة العامة لمجلس حكماء المسلمين المجتمع الدولي إلى التحرك بجدّية لوقف **التوتّر** في القدس الشريف عقب **المواجهات العنيفة** أخيرًا. وتحذّر الأمانة العامة للمجلس من تنامي **مشاعر الكراهية بين أصحاب الأديان**؛ مما يتيح الفرصة أمام **صنّاع الخطاب المتطرف** لاستغلالها في الترويج **للكراهية والتشدّد**)).

هذا الهراء الذي يسفر عن مخالفات صريحة للثوابت الشرعية، بحيث يعدّ الاحتلال طرفًا له مكانُه ومَكانَته وتجب مسالمته، وأنّ الصراع صراع كراهية بين الأديان، وأنّه مجرّد توتّر يجب إيقافه! متحاشين المصطلحات الشرعية، مع أنّ مجلسهم مجلس إسلامي! بل هو مجلس لأعلى مرتبة من مراتب العلماء -هُم الحكماء-! فيعبّرون بـ(التوتر والمواجهات العنيفة بين الطرفين)، ليساووا المحتل بالمقاوم، وهي مصطلحات خطيرة جدًّا، فيها تحريف للدين وتلاعب بأحكامه. فلا هم أعطوا الوصف الحقيقي للعنف من جهة المحتل بأنه قتَل الأبرياء وقصَف المنازل على النساء والأطفال والشيوخ والعزل، ودمّر البنى التحتية. ولا هم أعطوا الوصف الصحيح للعنف من جهة المقاومة بأنه قتال دفاعي وجهاد شرعي إسلامي. بل إنهم زادوا على ذلك لمز المقاومة بأنهم (أصحاب الخطاب المتطرف والكراهية والتشدّد)! وهذا الوصف خاص بالطرف المقاوم فقط، لأن

الطرف المحتل لا ينطبق عليه ذلك في نظر ابن بيه، فهو رئيس "منتدى تعزيز السلم"، وهو المنتدى الذي يشارك فيه أمثال الحاخام ديفيد روزن والحاخام الأكبر ميرفيس، وهما من أصحاب المناصب اليهودية العليا، ومن المؤيدين للحرب الإسرائيلية على الفلسطينيين، بل إنهم يرون أنّ إسرائيل إنما تحمي نفسها بذلك من هجمات حماس -على حدّ تعبيرهم-!

**والغريب أننا لا نجد مِن الفئة المُخذِّلة -التي تنتسب إلى عقيدة السلَف- مَن يقول عن هذه التصريحات بأنّ فيها تضييعًا (للثوابت الشرعية)**، في حين يوجّهون هذه الاتهامات الباطلة إلى المجاهدين ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس ممن يقومون بالثوابت ويحمون الثوابت.

**إنّ هذه الفئة** كان لسانها طويلًا على عبد الله بن بيه حينما كان نائبًا للأمين العام في الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين الذي أسّسه يوسف القرضاوي، أمّا اليوم حين صار من علماء السلطان فلا نراهم ينبسون تجاهه ببنت شفة، لأنّ مَواقفه هي مَواقفهم المخزية -ذاتها-!

فما أنكى تخذيل هذه الفئة لأهل الحق! وما أقبحَ أثرهم على الأمة! وأما أشنعَ تناقضاتهم! وما أضعفَ شبهاتهم! وما أغبى تلاعبهم بنصوص الدين ونصوص علماء المسلمين!

# خاتمة

إنّ غَلَبة الجهل (المركَّب) لدى كثير من المثقَّفين والمُنتسِبين إلى العِلْم، معَ استفْحال العصبِيّات في نفوسِهم، تؤَدِّيان إلى **نتيجةٍ حتميّةٍ** في كلّ حادثةٍ يَمرّ بِها المجتمع أو تمرّ بها الأمّة، ألَا وهي: التفرُّق والاخْتلاف؛ فتتراكَم بسببهم الفتنُ والاضطرابات على تلك الحادثة، **مع أنّ الحادثة شديدة الوضوح**، مما يعني أنْ تَكون المواقف الصادرة عن المخلِصين مواقف موحَّدة، **لكنّ هؤلاء الجهَلة يَقلِبونها إلى فِتَن، فيَلبِسون على الناس الواضحات، ويشكّكونهم في اليقينيّات**، مستغلّين بعضَ ما أوتوا من سلطة وإعلام ومناصب، مع زخرفة القول ببعض ما يظنونه علمًا وما ينسبونه إلى بعض الأعلام، إمعانًا في التلبيس، وسيرًا على منهج إبليس!

ولا يسعنا في ختام هذا البحث إلا أنْ نردّد مع الكاتب المدّعي قولَه: ((عند حدوث النوازل لا يُلتَفَتُ إلى مواقف أصحاب الأهواء، ولا آراءِ أصحاب الهواء. أما أصحاب "الأهواء" فهم المنحرفون في اعتقادهم واتّباعهم. وأما أصحاب "الهواء" فهم الفارغون من التأصيل العلمي، والتأسيس المنهجي)).

وها قد بان لنا مَن هُم هؤلاء المنحرفون في اعتقادهم واتّباعهم، ومَن هُم الهوائيون الفارغون من التأصيل العلمي، والتأسيس المنهجي.

وها قد بان حال ميزان هؤلاء (الهوائيين)، بأنّهُ ميزان خاسر عند كلّ ذي عقل وإنصاف.

نسأل الله جلّت قدرته أنْ يُعجّل لنا بالانتقام من كلّ مخذِّل، وأنْ يَصرف عن الأمّةِ كيدَه، ويفضحَ مكرَه وتلاعبَه، ويخيّب سعيَه وجهدَه. إنّه بالإجابة جدير، فهو نِعم المولى ونِعم النصير.

عمر ماجد السنوي

يوم الجمعة ٢٧ جمادى الأولى

١٤٤٦هـ، يوافقه: ٢٠٢٤/١١/٢٩م

# المصادر والمراجع


١. القرآن الكريم.
٢. صحيح البخاري، تحقيق: جماعة من العلماء، الطبعة السلطانية ببولاق، مصر (١٣١١هـ).
٣. صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر (١٩٥٥م).
٤. الجامع الكبير (سنن الترمذي)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت (١٩٩٦م).
٥. سنن أبي داوود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل، دار الرسالة العالمية، بيروت (٢٠٠٩م).
٦. مسند أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت (٢٠٠١م).
٧. أحكام القرآن، أحمد بن علي الجصاص، تحقيق: محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت (١٤٠٥هـ).
٨. الإخنائية، أحمد بن تيمية، تحقيق: أحمد بن مؤنس العنزي، دار الخراز، جدة (١٤٢٠هـ).
٩. الاستغاثة، أحمد بن تيمية، تحقيق: عبد الله السهلي، مكتبة دار المنهاج، الرياض (١٤٢٦هـ).
١٠. الإسلاميون والعمل السياسي، مصطفى بن إسماعيل السليماني، دار المودة، المنصورة، مصر (٢٠١٣م).
١١. البلاغة العربية: أسسها، وعلومها، وفنونها، عبد الرحمن حبنكة الميداني،

دار القلم (١٩٩٦م).
١٢. ديوان المتنبي، تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (٢٠١٢م).
١٣. سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين، بإشراف: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، (١٩٨٥م).
١٤. شرح الأربعين النووية، محمد بن صالح العثيمين، مؤسسة ابن عثيمين الخيرية، القصيم، (١٤٣٧هـ).
١٥. فتح الباري بشرح البخاري، أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، مصر (١٣٨٠-١٣٩٠هـ).
١٦. قرارات المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة، رابطة العالم الإسلامي، ط٢ (٢٠٠٢م).
١٧. كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور البهوتي، طبعة وزارة العدل السعودية (٢٠٠٠-٢٠٠٨م).
١٨. مجلة العالم الإسلامي، محمد بهجة الأثري، جمعية الشبان المسلمين، بغداد، (السنة الأولى، الجزء الخامس والسادس، ١٩٣٩م).
١٩. مجلّة المنار، محمد رشيد رضا، المجلد الثالث والعشرون (عدد شهر ربيع الآخر ١٣٤١هـ).
٢٠. مجمع الأمثال، أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية، مصر (١٩٥٥م).
٢١. مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن القاسم وابنه محمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، المدينة المنورة (١٤٢٥هـ).

٢٢. مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، عبد العزيز بن باز، جمع: محمد الشويعر، طبعة رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء السعودية.
٢٣. مجموعة دروس وفتاوى الحرم المكي (من عام ١٤٠٧هحتى عام ١٤١١ه)، محمد بن صالح العثيمين، إعداد: رزق السيد وحسين زهران ومسعد شعير، دار اليقين، مصر، ودار طيبة، الرياض (١٩٩١م).

## المواقع الإلكترونية:

٢٤. بدعة في فقه الجهاد، الدكتور بندر الشويقي (تويتر).
٢٥. حساب صالح العصيمي (تويتر).
٢٦. حساب عبد الحق التركماني (تويتر).
٢٧. حساب عبد اللطيف آل الشيخ (تويتر).
٢٨. حوار (شبكة الألوكة) مع الدكتور صالح الرقب.
٢٩. زيارة عسكرية سعودية "نادرة" إلى إيران (موقع بي بي سي عربي).
٣٠. شرح عقيدة أهل السنة والجماعة، ابن عثيمين، الشريط العاشر (موقع أهل الحديث والأثر).
٣١. صحيفة "ذا ناشيونال" الإماراتية الإنكليزية، ٨-١١-٢٠٢٤م (الموقع الرسمي).
٣٢. صحيفة "ميدل إيست آي" البرطانية، ٢٤-١١-٢٠٢٤م (الموقع الرسمي).
٣٣. صفحة أ.د. سلمان بن نصر الداية (فيسبوك).
٣٤. صفحة د. مأمون أبو عامر (فيسبوك).
٣٥. صفحة محمد براء ياسين (فيسبوك).
٣٦. عبد الله بن بيه بين التطبيع والجرائم الإسرائيلية، للدكتور معتز الخطيب

(شبكة الجزيرة).
٣٧.قناة عبد الله الشريف، الموسم الثامن، الحلقة (٣٠) بعنوان: براءة من الله، والحلقة (٣٣) بعنوان: المقاومة دمّرت غزة (يوتيوب).
٣٨.قناة الشيخ أبو إسحاق الحويني (يوتيوب).
٣٩.قناة عبد المالك الرمضاني (يوتيوب).
٤٠. كلمة الناطق باسم كتائب القسام بمناسبة مرور عام على طوفان الأقصى (موقع قناة الجزيرة).
٤١. كلمة خالد مشعل في المؤتمر السابع لمنتدى كوالالمبور للفكر والحضارة (موقع قناة عربي TRT).
٤٢. كلمة عبد العزيز الرنتيسي في مظاهرات غزة ضد الاحتلال الأمريكي للعراق (مواقع التواصل).
٤٣. كلمة يحيى السنوار "لن نرفع الراية البيضاء" (موقع قناة فلسطيننا).
٤٤. من السنن الإلهية في النصر والهزيمة، الدكتور محمد ولد سيدي عبد القادر (شبكة الألوكة).
٤٥. الموقع الرسمي للدكتور محمد بن عمر بازمول.
٤٦.موقع مؤسسة الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود.
٤٧.هؤلاء المصلحون والأرض المباركة - قناة عين على التراث (يوتيوب).
٤٨.هذا هو الشرك الأكبر، للشيخ صالح السحيمي (شبكة الآجري).
٤٩.وصية نزار ريان، نقلًا عن مقال عبد الرحمن فهمي: "الدكتور نزار ريان العالم الرباني المجاهد".

# الفهرس


**المقدمة ........................................................ ٥**

**المبحث الأول (الدعاوى ونقضها) ................................٧**

الفصل الأول (سياق النقد): ......................................... ٧

الفصل الثاني (بين الاتهامات والواجبات) ......................... ١١

الفصل الثالث (نقض الدعاوى) ....................................١٧

المطلب الأول (نقض الاتهام الأول) ..............................١٧

المطلب الثاني (نقض الاتهام الثاني)..............................٢٧

المطلب الثالث (نقض الاتهام الثالث) ............................٣١

المطلب الرابع (نقض الاتهام الرابع) ............................ ٣٦

المطلب الخامس (نقض الاتهام الخامس) ..........................٥٥

**المبحث الثاني (الشبهات وردّها) ............................... ٦٤**

الفصل الأول (الموقف من التحالفات السياسية)..................... ٦٤

الفصل الثاني (الموقف من قضية فلسطين)........................ ٧٧

الفصل الثالث (حكم الجهاد في فلسطين)........................ ٨٣
المطلب الأول (شبهة انعدام القدرة)........................ ٨٣
المطلب الثاني (شبهة الجهاد البدعي)........................ ٨٩
المطلب الثالث (شبهة شرط التوحيد) ........................ ٩٦
المطلب الرابع (من فقه الدفع) ........................ ١٠٢
المطلب الخامس (فقه علماء السلطان)........................١٠٦
**الخاتمة** ........................................١٠٩
**المصادر والمراجع** ........................................١١١
**الفهرس** ........................................١١٥